جـامعة الأزهـر
كلية الدراسات الإسلامية
والعـربية للبنين بدسـوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg
drya.journal@gmail.com

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

المصادرُ العربيةُ فِي فِكرِ وكتاباتِ محمد بنيس قراءةٌ فِي التعاملِ النَّقديِّ مع تجلياتِ ظاهرةِ الشِّعرِ العربيِّ الحديثِ

أ.د/ محمد السيد سلامة

علياء بنت سلمان عودة الجوهري الحويطي (الباحث الرئيسي)

قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

١٤٤٥هـ -٢٠٢٤م

المصادر العربية في فكر وكتابات محمد بنيس
قراءة في التعامل النقدي مع تجليات ظاهرة الشعر العربي الحديث

علياء بنت سلمان عودة الجوهري الحويطي(الباحث الرئيسي)
محمد السيد سلامة
قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Joalya26@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة المصادر العربية في فكر وكتابات محمد بنيس، وهي تسعي إلى استجلاء أثر هذه المصادر في فكر ونقد بنّيس. وهو الأمر الذي يبرز أهمية الدراسة كونها تركز على المصدر العربي في هذا الفكر، وتحلل منطلقاته التي اعتمد عليها بنيس.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتتبّع هذه المصادر من خلال الوقوف على الكتابات الأساسية لبنيس وتحليل تعامله مع المصادر العربية في هذه الكتابات. وقد كشفت الدراسة عن المنهجية النقدية التي اعتمد عليها بنيس من خلال استجلاء المفاهيم والمحاور الأساسية التي اعتمدها في التحليل. كما كشفت الدراسة عن المقصد الأساسي لبنيس من قراءته لمتون الشعر العربي المعاصر ونقده القديم والحديث، حيث أراد الوصول إلى منهجية إبداعية، تجعل من الشعر تجربة وجدانية، ومن القصيدة جسدا لمعنى متحوّل غير نهائي.

لقد كان بنّيس في حقيقة الأمر يسعى إلى إيجاد ما يمكن أن نسميه: القصيدة المطلقة؛ أي القصيدة التي تتجاوز النموذج الثابت، والمعنى الثابت، وتؤسس شكلها ومعناها في لحظة الإبداع، الأمر الذي يحوّل الشعر إلى تجربة وجودية، ويحوّل القصيدة إلى جسد متحوّل، يستجيب لحساسية الشاعر ولانفتاح المعنى، وهما معا _ التجربة والقصيدة _ يستجيبان للسياقات الاجتماعية والثقافية والشعرية التي تحيط بالشاعر والقصيدة.

الكلمات المفتاحية: حداثة القصيدة، الغزو المزدوج، القدم والحداثة، شعرية الدلالة، التخطي والتجاوز.

Arab sources in the thought and writings of Muhammad Bennis
A reading of critical dealing with the manifestations of the phenomenon of modern Arabic poetry

Alia bint Salman Odeh Al-Jawhari Al-Huwaiti (The main).,
Muhammad Al-Sayyid Salama
Department of Arabic Language, College of Human Sciences, King Khalid University.
Email: Joalya26@gmail.com

Abstract:

This study discusses the Arabic sources in the thought and writings of Muhammad Bannis, and it seeks to clarify the impact of these sources on Bannis' thought and criticism. This highlights the importance of the study as it focuses on the Arab source of this thought and analyzes its starting points on which Bennis relied.

The study relied on the descriptive and analytical approach to trace these sources by examining the basic writings of Bennis and analyzing his dealings with the Arabic sources in these writings. The study revealed the critical methodology adopted by Bennis by clarifying the basic concepts and axes he adopted in the analysis. The study also revealed Bennis's primary purpose in reading the texts of contemporary Arabic poetry and its ancient and modern criticism, as he wanted to reach a creative methodology that would make poetry an emotional experience, and the poem an embodiment of an infinite, shifting meaning.

In fact, Bennis was seeking to find what we might call: the absolute poem; That is, the poem that transcends the fixed model and fixed meaning, and establishes its form and meaning in the moment of creativity, which turns poetry into an existential experience, and turns the poem into a transformed body, responding to the poet's sensitivity and the openness of meaning, and together - the experience and the poem - respond to the social, cultural and poetic contexts surrounding poet and poem.

Keywords: Modernity of the poem, Double invasion, Antiquity and modernity, Poetics of significance, Transcendence and transgression.

مقدمة

تتنوّع أعمال محمد بنيس ما بين الإبداعي والتنظيري، في مسيرة حافلة بالعطاء النقدي والفكري، بدأت بأطروحتيه: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية[١]، والشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاته[٢]، مع عدد من الدواوين الشعرية[٣]، وعدد كبير من المقالات والدراسات التي تعبر عن تطور وعيه[٤]، وهي التي جمعها في عدد من كتبه، لعل أشهرها: حداثة السؤال[٥]، و كتابة المحو[٦]، و كلام الجسد[٧]. والأخيران عملان يجمعان بين الإبداعي والتنظيري، تجسيدا لرؤيته في ضرورة أن يتأمل الخطاب النقدي/ الفكري نفسه، أثناء سعيه لإيجاد الحقيقة الإبداعية والفكرية معا.

وقد لفتت هذه الأعمال المتنوعة عددا كبيرا من الباحثين، فتناولوها في أطروحاتهم الجامعية وفي أبحاثهم المحكّمة، وفي مراجعاتهم الصحافية[٨]. واختلفوا حول ما جاء فيها من آراء نقدية، ما بين مؤيد؛ رأى في تحليلات بنيس ومنهجه افتتاحا لنهج جديد، يحفر في

(١) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، ط ٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥م

(٢) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاته، محمد بنيس، الشعر العربي الحديث _بنياته وإبدالاتها: ١ . التقليدية، ط الثانية، دار توبقال للنشر، المغرب ٢٠٠١م

(٣) بدأت بديوانه: ما قبل الكلام (١٩٦٩م)، شيء عن الاضطهاد والفرح (١٩٧٢م)، وجه متوهج عبر امتداد الزمن (١٩٧٤م)، في اتجاه صوتك العمودي (١٩٨٠م). ينظر رضا الأعرجي (محاور)، محمد بنيس: من الحنين إلى الصراخ الهادئ، الأقلام (٦٧ . ٧٣)، س ٢٣، ع ٣، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨م.

(٤) منها دراساته: صلاح عبد الصبور في المغرب: مقاربة أولية لهجرة النص، فصول (١١١_ ١١٦)، مج ٢، ع ١، مصر ١٩٨١م، النص الغائب في شعر أحمد شوقي: القراءة والوعي، فصول (٧٨ _ ٨٤)، مج ٣، ع ١، مصر ١٩٨٢م، مستحيل الشعر العربي، فصول (٢٥٥ _ ٢٦٠)، مج ١١، ع ٣، مصر ١٩٩٢م، ضرورة الأدب في البحث في العلوم الإنسانية، مجلة النهضة (١٣٥ _ ١٤٦)، ع ٩، خريف ٢٠١٤م، على حدود العربية، مجلة النهضة (٦٧ _ ٧٢)، ع ٩، خريف ٢٠١٤م.

(٥) محمد بنيس، حداثة السؤال: بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ط ثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨م

(٦) محمد بنيس، كتابة المحو، ط الأولى، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م

(٧) محمد بنيس، كلام الجسد، ط الأولى، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠م

(٨) سوف يرد ذكر هذه الأعمال في متن الدراسة (الباحثة).

الأصول المعرفية، ويكشف من خلال عمله عن حقائق الظاهرة الأدبية؛ خاصة في الشعر العربي الحديث، ومنتقد، يرى أن بنيس تجاوز في استخدام المنهج، وتجاوز في تفسير المصطلحات من مصادرها الأصلية.

ومع تركيز الباحثين على مناقشة جوانب جزئية فيما قدمه بنيس من تحليلات؛ خاصة فيما يتعلّق بمنهجه البنيوي التكويني، وأيضا في تعامله مع تجليات الحداثة العربية من منظور خاص به، فقد كان من نتيجة ذلك أن وقف عمل الباحثين في قراءة نقد بنيس عند أطر جزئية؛ لم تسمح برسم إطار كلي لهذا النقد ولمصادره الفكرية؛ لا سيما فيما يتعلّق بمصادره العربية؛ نتيجة تركيزهم على المصدر الغربي.

ومع كثرة الدراسات التي وقفت عند المصادر الغربية في نقد بنيس، فمن الضروري أن تأخذ المصادر العربية حقها من التحليل، لاستجلاء أثرها في هذا النقد، ولرسم صورة كلية لإطارها العملي في فكر بنيس وعمله. وهو ما تسعى هذه الدراسة لتحقيقه من خلال تتبّع المصادر العربية في فكر بنيس، واستنباط أثر هذه المصادر في توجيه تعامله النقدي مع تجليات ظاهرة الشعر العربي الحديث، من خلال حصر واستجلاء تجليات هذا التعامل في مفاهيم ومحاور محددة فكريا ونقديا. وهو الأمر الذي يبرر اختيار هذه الدراسة ويبرز أهميتها، ويحدد أسئلتها وأهدافها.

وقد كان لاختيار الموضوع أسبابه ودوافعه:

يستند اختياري لدراسة المصادر الفكرية العربية في أعمال محمد بنيس لثلاثة أسباب رئيسة:

الأول _ كثرة الدراسات التي تناولت المصادر الأجنبية في فكر محمد بنيس.

الثاني _ تركيز الباحثين على قراءة ومراجعة المصادر الأجنبية في فكره، ما جعل تأثير المصادر العربية في هذا الفكر يغيب عن تحليلاتهم المعمّقة.

الثالث _ تركيز الباحثين على دراسة منهجية بنيس البنيوية وعلاقتها بمفاهيم الحداثة في كتاباته وإهمال ما عداها من تفاصيل تكشف عن صلة هذين الجانبين بالمصادر العربية.

أهداف الدراسة:

١. مراجعة وقراءة تأثير المصادر العربية في كتابات محمد بنيس وكتاباته.

٢ـ إبراز الدورين النقدي والفكري اللذين قامت بهما المصادر العربية في كتابات محمد بنيس.

٣ . رسم صورة لانعكاس المصادر العربية في فكر محمد بنيس.

٤ . بحث أثر المصادر العربية في توجيه بنيس لا ستجلاء ظاهرة الشعر العربي المعاصر

أهمية الدراسة:

١ . رسم خريطة معرفية للتحليل النقدي في كتابات محمد بنيس.

٢. الكشف عن دور المصادر الفكرية العربية في تشكيل الوعي النقدي في فكر محمد بنيس.

٣ . الكشف عن طبيعة ومكونات ظاهرة الشعر العربي الحديث من منظور محمد بنيس.

أسئلة الدراسة:

١ . كيف تتشكل القراءة النقدية في وعي محمد بنيس ؟

٢ . ما المصادر الفكرية العربية في كتابات محمد بنيس ؟

٣ . كيف انعكست المصادر الفكرية العربية في وعي محمد بنيس النقدي ؟

٤ . كيف وظّف بنيس المصادر العربية في قراءة المنجز الشعري العربي ؟

٥ . ما أثر المصادر الفكرية العربية في الكتابة الإبداعية لدى محمد بنيس ؟

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتتبّع الخطوط العامة لحضور المصادر العربية في كتابات محمد بنيس، وتحليل أثرها في نهجه النقدي، وتجلية ظاهرة الشعر العربي الحديث من خلالها.

خطة الدراسة:

تتكون الدراسة من: مقدمة، ومدخل، وخمسة محاور للبحث:

أما **المقدمة** فذكرت فيها موضوع الدراسة ، وأسباب اختياري للموضوع ، وأهميتها وأسئلتها ومنهجها.

التمهيد، وخصصته لدراسة و تحليل الإطار العام للقراءة النقدية في فكر محمد بنيس.

المحور الأول: خصصته لبحث حداثة القصيدة العربية وإعادة بناء المقولات النقدية من منظور التحليل النقدي في فكر محمد بنيس.

المحور الثاني: خصصته لدراسة أصول الصنعة في المصادر العربية القديمة على نحو ما رآها محمد بنيس.

المحور الثالث: وخصصته لدراسة شعرية الدلالة في المصادر العربية من منظور التحليل النقدي في فكر محمد بنيس.

المحور الرابع: خصصته لبحث قضية انتقال النماذج الشعرية وعلاقتها بمفاهيم القدم

والحداثة في التراث العربي النقدي، على نحو ما رآها بنيس.

المحـــور الخـــامس: وخصصـــته لدراســـة مفهـــوم التطـــور و علاقتـــه بتجـــاوز النمـــاذج الشـــعرية القديمـــة لتأســـيس حداثـــة القصـــيدة العربيـــة، وذلـــك مـــن منظـــور التحليـــل النقـــدي فـــي فكـــر محمـــد بنيس.

الدراسات السابقة[١]:

١ _ جـاك أسـود، المغـرب الشـعري فـي دراسـة بنيويـة، الفكـر العربـي (٢٣٠_ ٢٣٣)، مـج ٢، ع ١٤، ١٩٨٠م.

٢ _ عبـد السـلام صـحراوي، بيـان الحداثـة مـن أدونـيس إلـى محمـد بنـيس، مجلـة منتـدى الأسـتاذ (٩١ . ١١٠)، ع ٣، أبريل ٢٠٠٧م

٣ _ حسيبة صغيري، جدلية النص الأدبي والمنهج النقدي عند محمد بنيس، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥ _ ٢٠١٦م.

٤ _ عبـد القـادر فرجـاني، الـنص والمـنهج بـين إشـكالية المصـطلح وزئبقيـة المفهـوم فـي فكـر محمـد بنـيس نموذجـا، مجلـة أمـارات (٨٩_ ٩٥)، المجلـد ٢، العـدد ١، كليـة الآداب والفنـون، جامعة حسيبة بوعلي بالشلف، الجزائر، مارس ٢٠١٨م.

٥ _ عمـار بـن لقريشـي، الـدراجي عباسـي، النقـد البنيـوي التكـويني عنـد محمـد بنـيس: ظـاهرة الشـعر المعاصـر فـي المغـرب أنموذجـا، مجلـة بحـوث كليـة الآداب (١١٥_ ١٢٥)، مـج ٣١، ع ١٢٢ ، جامعة المنوفية، مصر، يوليو ٢٠٢٠م.

٦ _ عـادل سـعيدي، البنيويـة التكوينيـة فـي النقـد المغـاربي: قـراءة فـي تجربتـي محمـد بنـيس ونور الدين صدار، مجلة آفاق علمية (٢٥٨. ٢٧٧)، المجلد ١٣، العدد ٢، لسنة ٢٠٢١

٧ _ عبـد العزيـز بـن تيشـة، عبـد القـادر بـوعزة، تمثّلات البنيويـة التكوينيـة عنـد محمـد بنـيس بـين التوفيـق والتلفيـق، مجلـة القـارئ للدراسـات الأدبيـة والنقديـة واللغويـة (٢١٩_ ٢٣٢)، المجلـد ٤، العدد ٣، سبتمبر ٢٠٢١م.

٨ _ عبـد العزيـز بلخوجـة، محمـد حمـودي، السـياق المعرفـي والمرجعيـة الفكريـة للكتابـة الشـعرية عنـد محمـد بنـيس، مجلـة منتـدى الأسـتاذ، المجلـد 18، العـدد 01، السـنة: ديسـمبر 2022

(١) يبلـغ عـدد الدراسـات التـي اهتمـت بفكـر وكتابـات محمـد بنـيس نحـوا مـن ثلاثـين دراسـة، وقـد اختـرت منهـا نماذج دالة في هذا الحصر، وذكرت البعض الآخر في متن الدراسة.

(280. 290)، المدرسة العليا للأساتذة أسيا جبّار، قسنطينة _ الجزائر 2022م.

٩ _ مبرك حسين، معالم الحداثة في تجربة محمد بنيس النقدية: كتاب حداثة السؤال نموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، المجلد 08، العدد: 01، الجزائر 2023م.

وقد ركزت هذه الدراسات على جانبين في تجربة محمد بنيس: البنيوية التكوينية، بوصفها المنهج الأساسي الذي اعتمد عليه بنيس في مفاهيمه التحليلية، والحداثة بوصفها المنهج الذي أضافه بنيس إلى تجربته النقدية، وناقش من خلاله حداثة القصيدة العربية وتطورها. وقد اختلف الباحثون في تقدير التجربة النقدية ما بين مؤيد ومعارض، على نحو ما ألمحت إليه في المقدمة، لكنهم جميعا اتفقوا على شجاعة بنيس في تناوله، وافتتاحه نهجا نقديا يعتمد على السؤال وتفكيك الأصول، لا مجرد التعبير عن الإعجاب بها أو رفضها.

وتشترك هذه الدراسات أيضا في اتخاذها نهجا جزئيا في دراسة أعمال بنيس، فكل دراسة منها اختارت كتابا أو مفهوما من المفاهيم التي استعملها بنيس وقامت بدراسته وتحليله، لذلك فكل هذه الدراسات تتسم بالطابع الجزئي في تناول بنيس، وإن كشفت عن جوانب مهمة في فكره ونقده، على النحو الذي أفادت منه هذه الدراسة، كما تتسم دراسات هؤلاء الباحثين بإشاراتها المتعجلة للمصادر العربية في نقده، وهو ما جعل دور هذه المصادر يغيب عن تحليلاتهم، ولذلك أحاول في دراستي هذه استكمال الجوانب التي وقفوا عندها، وتجنّب النقص الذي قادهم إليه التركيز على المفاهيم الجزئية في أعمال بنيس.

***

التمهيد

مدخل: القراءة النقدية في فكر محمد بنيّس

تنحصر القراءة النقدية في أعمال محمد بنيس في محورين كبيرين:

الأول: قراءة الأعمال الإبداعية بمنظور بنيوي تكويني، يمتد برؤيته لأثر الفعلين الاجتماعي والثقافي في الظاهرة الأدبية، على خلفية تاريخية؛ لا تتوقف عن الحركة والتقدم(١).

الثاني : مساءلة الوضع التاريخي للفعل الإبداعي وللثقافة من منظورات الحداثة وما ترتبط به من مناهج قرائية وأوضاع تاريخية متحوّلة(٢).

وبين المحورين يبرز الفعل الإبداعي نفسه متجسدا في أعماله الإبداعية التي تتأمل ذاتها كما تتأمل في العالم من حولها، سواء تجسّد هذا الفعل في قصائد شعرية أم في أعمال نثرية، ذات طابع فكري فلسفي، يتأمل النظري وينتج إبداعيّته في آن، على نحو ما يظهر خاصة في كتابيه: كلام الجسد، وكتابة المحو.

يظهر أثر مفهوم البنية في أعمال بنيس من خلال الحرص على استخدامه وشرح دلالاته في دراستيه: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، والشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها، بأجزائه الأربعة، وهما أطروحتاه الجامعيتان اللتان انطلق منهما للممارسة النقدية، ومن ثم، فهو يعتمد على هذا المفهوم في جعل محور البحث يدور على إيجاد ملامح البنيات الأساسية للشعر المغربي أولا، ثم الشعر العربي الحديث ثانيا، وإقران هذا البحث بإيجاد بدائل نظرية موازية لهذه البنية(٣).

<u>في حين يظهر أثر مفهوم الحداثة من جهتين:</u>

الأولى : أن بنيس يدرس ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب من خلال إقرانها بفكرة الحداثة وتأثيرها الموجود _ أو الغائب _ في هذا الشعر.

---

(١) ينظر حكمت الصباغ (يمنى العيد)، في معرفة النص، ط الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٢٢.

(٢) ينظر محمد بنّيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ــ مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢١ .

(٣) ينظر عبدالسلام المساوي (عارض)، محمد بنيس (مؤلف)، الشعر الحديث: بنياته وإبدالاتها، عالم الفكر (٤٢٤ _ ٤٤٤)، مج ٢٢، ع ١، سبتمبر ١٩٩٣م، ص ٤٢٩ . ٤٣١.

والثانية : تركيز الحديث كله عن مفهوم الحداثة في دراسة الشعر العربي الحديث، رغم أن الحديث يقوم على قاعدة من بحث مفهوم البنية[١]. وقد تجلى الأثر الأكبر لمفهوم الحداثة في كتابات بنيس اللاحقة: حداثة السؤال، كتابة المحو، كلام الجسد، والحداثة المعطوبة[٢].

وخلال المحورين اللذين اعتمدهما بنيس في بحثه يستحضر عددا كبيرا من الأسماء الأجنبية والعربية[٣]، مشيرا إلى آرائها المتنوعة في النص الأدبي وطريقة تحليله من وجهة نظر النقد؛ خاصة البنيوية التكوينية والتحليل النصي المعتمد على طرائق القراءة الحداثية[٤]. وفي هذا الاستحضار قد يعبر بنيّس بوضوح عن اتفاقه مع هذه الآراء، أو يعرب عن اختلافه مع منهج القراءة الذي تحمله الإشارة، محاولا في كل ذلك رسم خطوط واضحة لطريقته هو الخاصة في عملية التحليل[٥].

وهذه الطريقة يقدمها بنيّس بوضوح في أطروحته الأولى: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية؛ إذ يعتمد على البنيوية التكوينية في تناول الشعر المعاصر في المغرب، وهو يحاول طيلة الوقت أن يختار من هذا المنهج ما يلائم هدفه، مستبعدا كل ما لا يتفق مع (تصوّره الشخصي) للبنيوية التكوينية، ومؤكدا على أن ما يختاره هو الأنسب والأوفق في عملية التحليل[٦]. ولذلك فقد كان هذا التصوّر موضع مراجعة و تصويب، من وجهة نظر باحثين مختلفين، مع اعتراف أولئك الباحثين بجرأة بنّيس وشجاعته في تطبيق منهج؛ كان جديدا في زمنه[٧].

---

(١) ينظر عبدالسلام صحراوي، بيان الحداثة من أدونيس إلى محمد بنيس، مجلة منتدى الأستاذ (٩١ . ١١٢)، العدد الثالث، أفريل ٢٠٠٧م، ص ١٠٢ . ١١٠ .

(٢) ينظر إبراهيم الحجري، في كتابه الحداثة المعطوبة: محمد بنيس يرثي روح حداثة عربية لم تكتمل، قوافل (٤٣ . ٤٧)، النادي الأدبي بالرياض، ع ٢١، يناير/ محرم ٢٠٠٧م، ص ٤٣ . ٤٧

(٣) عبدالعزيز بلخوجة، محمد حمودي، السياق المعرفي والمرجعية الفكرية للكتابة الشعرية عند محمد بنيس، مجلة منتدى الأستاذ (٢٨٠ . ٢٩٠)، المجلد ١٨، العدد ١، ديسمبر ٢٠٢٢م، ص ٢٨٢ . ٢٨٧ .

(٤) ينظر قرقري بدرة، تجليات القراءة الشعرية في نقد محمد بنيس، مجلة النص (٣٦٥ـ ٣٧٠)، جانفي ٢٠١٦، ص ٣٦٦ . ٣٦٧ .

(٥) ينظر حسيبة صغيري، جدلية النص الأدبي والمنهج النقدي عند محمد بنيس، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥ . ٢٠١٦م، ص ٥٩ . ٦٢ .

(٦) محمد بنيس، وعبد السلام المساوي (عارض)، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ص ٤٢٩ . ٤٣٠.

(٧) ينظر عادل سعيدي، البنيوية التكوينية في النقد المغاربي ـ قراءة في تجربتي محمد بنيس ونور الدين =

لكن بنّيس في أطروحته الثانية: الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها، لم يصرّح بمنهجه ولا بطريقته التحليلية[١]، لكن ما قدمه في الدراسة بداية من العنوان _ بنياته وإبدالاته _ يشير بوضوح إلى اعتماد بنّيس على البنيوية التكوينية مرة أخرى، مع محاولة تطويرها من خلال إدخال عدة مناهج قرائية نصية في عملية التحليل.

غير أن بنّيس في الوقت نفسه، بداية من هذه الأطروحة، يركز في كل كتاباته التحليلية على تجليات الحداثة في تناول النص الأدبي وظواهره الفنية[٢]، و هو ما يظهر أيضا في كتبه التالية للأطروحتين: حداثة السؤال، كلام الجسد، وكتابة المحو، بالإضافة إلى عدد من الدراسات المأخوذة من أطروحتيه؛ هي التي نشرها في مصادر متنوعة[٣].

ومع ملاحظة أن بنيس في كل كتاباته الحافلة، ركز على إيجاد منهج تحليلي قادر على تفكيك الظواهر الأدبية المتشابكة وربطها بالسياقات الثقافية والاجتماعية، مع إبداء رأيه المتكرر في عدم قناعته بكثير مما يقدمه الباحثون في هذا الشأن، فقد أكد في دراساته المختلفة على أن (العربية المعاصرة) تحتاج منا إلى قراءة عميقة لكل ظواهرها القديمة والحديثة سواء بسواء، وأن التحديث المنشود يتطلّب منا التخلّي عن كثير من القناعات الخاصة بالعملية الإبداعية؛ أيا كان مصدر تلك القناعات؛ عربيا أم أجنبيا، قديما أم حديثا[٤].

=

صدار، مجلة آفاق عالمية، المجلد ١٣، العدد ٢ (٢٥٨ . ٢٧٧)، السنة ٢٠٢١، ص ٢٦٣ .

(١) ينظر عبدالعزيز بن تيشة، عبدالقادر بوعزة، تمثلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس، ص ٢٢٤.

(٢) ينظر مبرك حسين، معالم الحداثة في تجربة محمد بنيس النقدية: كتاب حداثة السؤال أنموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعر الجزائرية (١٦ . ٢٥)، المجلد ٨، العدد ١، ٢٠٢٣م، ص ١٧ . ١٨ .

(٣) ومنها دراساته التي أشرت إليها من قبل: صلاح عبد الصبور في المغرب: مقاربة أولية لهجرة النص، فصول (١١١_ ١١٦)، مج ٢، ع ١، مصر ١٩٨١م، النص الغائب في شعر أحمد شوقي: القراءة والوعي، فصول (٧٨ _ ٨٤)، مج ٣، ع ١، مصر ١٩٨٢م، مستحيل الشعر العربي، فصول (٢٥٥ _ ٢٦٠)، مج ١١، ع ٣، مصر ١٩٩٢م.

(٤) وهو ما عبر عنه في دراساته؛ خاصة: مستحيل الشعر العربي، فصول (٢٥٥ _ ٢٦٠)، مج ١١، ع ٣، مصر ١٩٩٢م، ضرورة الأدب في البحث في العلوم الإنسانية، مجلة النهضة (١٣٥ _ ١٤٦)، ع ٩، خريف ٢٠١٤م، على حدود العربية، مجلة النهضة (٦٧ _ ٧٢)، ع ٩، خريف ٢٠١٤م. .

وما ينبغي ملاحظته أيضا في ذلك أن كل ما قدمه بنّيس من إسهامات يتخذ طابعا فكريا واضحا، في حرصه الدائم على مناقشة أصول الفكرة، وتفكيك مصادرها، لكنه يفعل ذلك من أجل خدمة هدف واحد، هو قراءة الظاهرة الإبداعية قراءة نقدية، ثم يعود فيستنتج من هذه القراءات شذرات فكرية أخرى، يضمها ويدمجها في الأصول الفكرية الأولى التي اعتمد عليها.

ولذلك يمكن القول: إن الأصول الفكرية المؤثّرة في وعي محمد بنّيس ليست أصولا صافية، فهي تجمع بين العربي والأجنبي _ وإن يكن الأجنبي أكثر كثافة ووضوحا _ لكنها في الوقت نفسه تفكّك وتعيد تركيب تلك الأصول بما يتفق و حساسية بنّيس الفكرية والإبداعية؛ مختارا منها ما يراه مناسبا ومحققا لهدفيه الفكري والإبداعي، ومعيدا إنتاجها بما يعبر عن رؤيته الخاصة في ضوء تلك الأصول. ومن ثم فإن الكشف عن المصادر الفكرية المغذية لوعي محمد بنّيس يتطلب الوقوف على ما قدمه من أعمال متنوعة، لتفكيك منظوراتها التحليلية المختلفة، و إبراز الاتجاهات المحركة لتحليلاتها الفكرية والنقدية. وسأركز فيما يلي على كتبه: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، والشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها بأجزائه الأربعة، وحداثة السؤال؛ إذ في هذه الكتب الثلاثة يتجلى المصدر العربي الذي اعتمد عليه بنيس، كما سأعود إلى هذه المصادر لتوثيق أقوالها ومقابلته بما ذكره بنيس عنها، وتحليل التراسل بين المصدرين.

***

المحور الأول

حداثة القصيدة العربية وإعادة بناء المقولات النقدية

تظهر المصادر الفكرية العربية؛ القديم منها والجديد، عند بنيّس في سياق إشارته إلى موضوعين أساسيين في كل كتاباته؛ الأول: المنهج النقدي وضرورة إعادة تفكيك كل المقولات الفكرية المتعلقة بتناول المناهج النقدية للنص الأدبي. والثاني: قراءة النص الأدبي بمنظور إبداعي، يتجاوز المنهجي الجامد، ويتلمّس حساسية تأثير النص نفسه في نفس القارئ.

والموضوعان كلاهما مرتبطان ببحثه في حداثة القصيدة العربية، وما يتعلّق بها من قراءة التراث؛ شعرا ونقدا، وإعادة تحديث منظورات الكتابة العربية. ومعظم المصادر العربية التي رجع إليها بنّيس هي من الشهرة والمعرفة بين الباحثين، وقد ركز بنّيس في قراءتها على ما جاء فيها متعلّقا بأصول الكتابة وأسرارها الإبداعية.

ولقد لاحظ الباحثون ذلك في أعمال بنّيس، فنصّوا مرارا على أن ما يهم بنّيس هو المنهج النقدي، من خلال ما يسميه: الغزو المزدوج؛ أي تفكيك المقولات الأساسية للمنهج، وإعادة تركيبها[١]؛ إذ المنهج بالنسبة لبنيس ليس أكثر من "خطاب تصوّري، هدفه الإضاءة والإنارة والكشف"[٢]، وهو ليس خطابا جامدا، إذ يحركه حس المغامرة في القارئ نفسه، انطلاقا من قناعة الناقد نفسه بأن العملية النقدية "ممارسة قرائية للنصوص الإبداعية، بعيدا عن استدعاء خلفية توظيف مفاهيم الممارسة الإبداعية"[٣].

وهو ما يقول عنه بنيس نفسه: "غزو التصورات والمفاهيم والأدوات المتداولة في حقل الدراسات العربية بهدف تفكيك أسسها المتعالية، والميتافيزيقية، ومن ناحية ثانية غزو نظريات أوربية وأمريكية حديثة، عثرت على سبيلها إلى الشعرية العربية القديمة، ومن

(١) ينظر حسيبة صغيري، جدلية النص الأدبي والمنهج النقدي عند محمد بنيس، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥ _ ٢٠١٦، ص ٤٥ .

(٢) مبرك حسين، معالم الحداثة في تجربة محمد بنيس النقدية: كتاب حداثة السؤال نموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، المجلد 08، العدد: 01، الجزائر 2023، ص ٢٤ .

(٣) عبد العزيز بلخوجة، محمد حمودي، السياق المعرفي والمرجعية الفكرية للكتابة الشعرية عند محمد بنيس، مجلة منتدى الأستاذ، المجلد 18، العدد 01، السنة: ديسمبر 2022 (280_ 290)، المدرسة العليا للأساتذة أسيا جبّار، قسنطينة _ الجزائر 2022، ص 282 .

خلالها تمت إعادة قراءة الشعر العربي القديم والحديث، فضلا عما يعتمد في المتداول مما لم يدخل بعد إلى الدراسات العربية"[١].

إن بنيس منذ كتابه الأول: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، وما تلاه من أطروحات، يهدف إلى تفكيك حداثة القصيدة العربية، ويربطها طيلة الوقت بمفهومي الكتابة والقراءة، برغم حرصه على أن يؤصّل لمنهجه النقدي، باعتباره بنيوية تكوينية، لكنه التأصيل الذي لاحظ الباحثون أيضا عليه أنه لم يلتزم بالأسس النظرية التزاما تاما، فقد كان بنيس حريصا على أن يمزج بين الأبعاد النصية والثقافية والاجتماعية في قراءته للشعر المغربي، وهو ما انعكس في دمجه بين المنهجين البنيوي التكويني والاجتماعي، ليتمكن من تحقيق تصوره النقدي في القراءة الداخلية والخارجية للشعر المغربي، حيث يقول[٢]:" حاولت أن أرتبط بالقراءة التي تؤلف بين داخل المتن وخارجه، مستفيدا من البنيوية في الكشف عن قوانين البنية الدالة ومن المادية التاريخية الجدلية في تفسيرها لطبيعة هذه البنيات [...] ومعتمدا على البنيوية التكوينية".

هذا المزج لدى بنيس بين منهجين متقاربين: البنيوية التكوينية، والاجتماعي الجدلي، لفت نظر كثير من الباحثين الذين اختلفوا بين مقدر لاجتهاد بنيس ومنتقد لاجتهاده، فبنيس، كما يقول عبد العزيز تيشة، وعبد القادر بوعزة[٣]:

"مازج بين البنيوية التكوينية وبين التي قبلها، وهي البنيوية الشكلانية أحيانا، كما لبس عباءة النقد الاجتماعي الجدلي أحيانا كثيرة أخرى. ومن هنا نجد أن قوام القراءة البنيسية تمركزت في الكشف عن تمظهرات البنية السطحية للنص، لتدخل لاحقا في البنية العميقة، حيث أنتجت ثلاثة قوانين تحكم النص الشعري بوصفه بنية واحدة، ليتم اختراقها من أجل الوصول إلى نواة المتن، التي تُعَدّ المكوّن الباني له. وبهذه العملية استشرف تفسير البنية الثقافية المنضوية تحت علمي الاجتماع والتاريخ، والمرتبطة فعلا قبل ذلك بالمجال الشعري".

---

(١) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث _بنياته وإبدالاتها: ١ــ التقليدية، ط الثانية، دار توبقال للنشر، المغرب ٢٠٠١، ص ٤٤ .

(٢) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، ط ٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥م، ص ٢٤ .

(٣) عبد العزيز بن تيشة، عبد القادر بوعزة، تمثّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية (٢١٩ . ٢٣٢)، المجلد ٤، العدد ٣، سبتمبر ٢٠٢١، ص ٢٢٤ .

وبغض النظر عن إعجاب الباحثين أو تحفظهم حول تجربة بنيس مع البنيوية التكوينية، فمن المؤكد أن بنيس حاول بمزجه بين البنيوي والاجتماعي أن يبتكر منهجا ثالثا، قادرا على أن يقرأ النص الأدبي _ الشعري _ قراءة إبداعية، من داخله ومن خارجه، وصولا إلى تحديد المنطلقات الفنية التي تكوّنه[١]. وبعيدا عما يمكن أن يُوجّه لهذه المحاولة من نقود تتعلّق بدقة استخدامه للمصطلحات وتوظيفها، أو تتعلّق بوجود فروق عميقة بين الاجتماعي والبنيوي[٢]، فإن بنيس في تناوله لظاهرة الشعر المغربي المعاصر، كما تلاحظ حكمت الصباغ[٣]:

"كالاجتماعيين الجدليين يرفض أن يكون النص مجرد لغة، بل يرى أنه، فيما هو كذلك، يحمل رؤية للعالم، وأن هذه الرؤية على علاقة وثيقة بموقع صاحب النص، أو فكره الاجتماعي وبوضعيّته الثقافية، وهو كالبنيويين، يؤكد على أهمية اللغة ويرى أن الرؤية للعالم هي رؤية ماثلة في النص كلغة، إنها النواة فيه، تتجلى فيما يحكم بنيته من قوانين، وتبرز منطقا تتبين به عناصر النص. وإن الوصول إلى هذه الرؤية لا يكون إلا بقراءة النص، أي بتحليلها بحيث تتكشّف لنا هيكلية النص فنطول هذه القوانين ونستبين تحكمها به".

وبنيس في ذلك يحاول أن يقدم قراءة خاصة به من منطلق أن الممارسة النقدية الصحيحة تتطلب من الناقد أن "ينصت إلى ما يتطلبه النص من انسجام منهجي، لا يصغي إلى المنهج، فالناقد يعتبر النص صاحب السلطة أي (المركز)، لا المنهج المتبع في الدراسة وأدواته الإجرائية"[٤]. وهذا الإيمان بمركزية النص وسلطته يترجم مسعى بنيس إلى خلخلة النص الشعري العربي الحديث في المغرب، بعدما لاحظ عليه الجمود، فلا أحد

(١) ينظر حكمت الصباغ الخطيب (يمنى العيد)، في معرفة النص: دراسات في النقد الأدبي، ط الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت _ الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص ١٢١ .

(٢) ينظر جاك أسود، المغرب الشعري في دراسة بنيوية، الفكر العربي (٢٣٠ــ ٢٣٣)، مج ٢، ع ١٤، ١٩٨٠، ص ٢٣١ .

(٣) حكمت الصباغ الخطيب (يمنى العيد)، في معرفة النص، ص ١٢٤

(٤) عبد القادر فرجاني، النص والمنهج بين إشكالية المصطلح وزئبقية المفهوم في فكر محمد بنيس نموذجا، مجلة أمارات (٨٩ــ ٩٥)، المجلد ٢، العدد ١، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بوعلي بالشلف، الجزائر، مارس ٢٠١٨، ص ٩١ .

"يتجادل حوله، بل لا أحد يلجأ إليه وإلى قراءته، لأنه لا يتوفر على أدنى ما يمكن أن يجلب الاهتمام به على مستوى الذوق والإبداع والمتعة الفنية"(١).

لقد غدا النص الشعري المغربي في نظر بنيس جامدا، واستمرارا سلبيا لصوت الموتى(٢)، ولذلك فإن ما يحركه في هذا المسعى هو البحث عن الجوانب المفقودة القادرة على إعادة إحياء النص الشعري، وفي الوقت نفسه إيجاد المعنى الحقيقي للحداثة.

وهو المعنى الذي وجده في البحث المستمر والسؤال المفتوح على كل الجوانب الإبداعية(٣). أمام المنهج فهو مجرد أدوات إجرائية يصل بها الناقد إلى ما ينبغي له من إنصات لحساسية النص الإبداعي نفسه. ولذلك فإن للناقد أن يتجاوز المفاهيم المباشرة للمنهج الذي يستخدمه في عملية القراءة، وله أن يستحضر من المفاهيم القديمة والجديدة الخاصة بالعملية الإبداعية ما يستطيع به تفكيك هذه المفاهيم وتحقيق الاقتراب من حقيقة النص الذي يقرؤه.

ولذلك فإن ما يمكن للباحثة ملاحظته أن بنيس في قراءته الإبداعية لظاهرة الشعر المغربي، ثم في قراءته لبنيات الشعر العربي المعاصر وإبدالاته، يستحضر أسماء عربية قديمة وجديدة، يتجادل معها، ويعيد تأسيس ما تطرحه من مقولات نظرية حول العملية الإبداعية. وهذا ما لحظه أيضا عدد من الباحثين الذين تناولوا تجربة محمد بنيس النقدية، فرصدوا استحضاره لابن خلدون وحازم القرطاجني وابن رشيق، وغيرهم من النقاد القدماء، من جهة البحث عن أصول الصنعة الشعرية وتأصيل مقولاتها وتأثيراتها في بنية الشعر المعاصر، بينما استحضر أسماء طه حسين ونازك الملائكة وتمام حسان وأدونيس، في بحثهم عن حداثة القصيدة العربية(٤).

---

(١) عبد السلام صحراوي، بيان الحداثة من أدونيس إلى محمد بنيس، مجلة منتدى الأستاذ (٩١ . ١١٠)، ع ٣، ص ١٠٥.

(٢) ينظر محمد بنيس، حداثة السؤال: بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ط ثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨، ص ١١ . ١٦ .

(٣) عبد السلام صحراوي، بيان الحداثة من أدونيس إلى محمد بنيس، ص ١٠٣ .

(٤) ينظر عمار بن لقريشي، الدراجي عباسي، النقد البنيوي التكويني عند محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب أنموذجا، مجلة بحوث كلية الآداب (١١٥ . ١٢٥)، مج ٣١، ع ١٢٢، ص ١١٩ . ١٢٠.

ومن هنا كان حضور كل واحد من هذه الأسماء مرتبطا بتحليل بنيس لجانب من جوانب القصيدة العربية المعاصرة، من خلال بحثه لقوانين الزمان والمكان وعلاقتها بمفاتيح العنونة وبنية المجاز، ليصل من خلالها إلى محاور البنية العميقة في هذا المتن(١).

لقد قصد بنيس بدراسته لظاهرة الشعر العربي المعاصر استنطاق ظاهر هذا الشعر، لاتخاذ موقف مؤسس وواضح عنه(٢)، كما أراد التأسيس لمشروع كتابة إبداعية حداثية، تملك الوعي المضاد الذي يتجاوز النظريات والمناهج(٣). ومن هنا فإنه لا يستحضر هذه الأسماء العربية تأكيدا لوجهة نظرها، أو لمقولاتها المستقرة في الذاكرة النقدية، وإنما أراد بحضورها إعادة تفكيك القيم والمفاهيم الإبداعية التي قررتها وشاعت عنها من قبل، من أجل الوصول إلى حقيقة الكتابة الإبداعية.

وهذا الأمر اللافت للنظر إلى ما ربطه بنيس بهذه الأسماء، فهو يقف عند ظواهر الإيقاع والغموض (الاستعارة أو الخيال)، والتقديم والتأخير، بل وحقيقة الصناعة الشعرية نفسها، على نحو ما أشار إليها القرطاجني وابن خلدون. وهو ما يدعو إلى الوقوف عند هذه الظواهر لاستجلاء أثرها في الفكر النقدي عند بنيس، على ما سوف أحاول بيانه فيما يأتي.

***

(١) ينظر عادل سعيدي، البنيوية التكوينية في النقد المغاربي: قراءة في تجربتي محمد بنيس ونور الدين صدار، مجلة آفاق علمية (٢٥٨ . ٢٧٧)، المجلد ١٣، العدد ٢، لسنة ٢٠٢١، ص ٢٧٢ .

(٢) ينظر عبد العزيز بن تيشة، عبد القادر بوعزة، تمثّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، نص ٢٢٣ .

(٣) ينظر عبد السلام صحراوي، بيان الحداثة من أدونيس إلى محمد بنيس، ص ١٠٧ .

المحور الثاني

أصول الصنعة في المصادر العربية القديمة

يكـرر محمـد بنّـيس إشـارته إلـى النقـاد والمصـادر العربيـة القديمـة، و مـا ينبغـي الالتفـات إليـه أن هـذه الإشـارات تـأتي ضـمن تحليلـه للقضـايا الجزئيـة التـي يفكـك مـن خلالهـا وضـعية الشـعر العربـي الحـديث. ومـن الضـروري كـذلك الالتفـات إلـى أن هـذه الإشـارات تـأتي ضـمن استحضـار أسـماء متعـددة، حديثـة، عربيـة وأجنبيـة، محـاولا ربـط كـل الخطـوط فـي تحليلـه لوضعية الشعر العربي؛ قديما وحديثا.

تتسـم مراجعـة بنّـيس للمفـاهيم والمقـولات النقديـة بالتـداخل بـين العربـي والأجنبـي، القـديم والحـديث؛ إذ إن مـا يقـوده فـي هـذه المراجعـة هـو المفهـوم نفسـه ومـا يتركـه مـن أثـر علـى فهمنـا للـنص العربـي المعاصـر. وهـو الأمـر الـذي يفـرض علـى الباحـث أن يتـابع حضـور هـذه المصادر من خلال متابعة القضايا التي طرحها في تحليله لوضعية الشعر العربي.

ومـا يمكـن ملاحظتـه فـي كتابـات بنّـيس أنـه التـزم بإطـار البنيويـة التكوينيـة فـي كتابـه الأول: ظـاهرة الشـعر المعاصـر فـي المغـرب، لكنـه وسّـع هـذا الإطـار فـي تناولـه للشـعر العربـي الحـديث: بنياتـه وإبدالاتـه، فهـو لـم يتخـل عـن فكـرة البنيـة ولا تـأثير الاجتمـاعي والثقـافي فـي تشـكيل هـذا الشـعر، لكنـه جعـل مـن الحداثـة وقضـاياها المـدخل لبحـث تحـوّلات هـذا الشـعر وتحديد وضعيّته المعاصرة.

يفتـتح بنّـيس كتابـه: الشـعر العربـي الحـديث _ بنياتـه وإبـدالاتها، بنصـين دالـين مـن التـراث، الأول يعـود إلـى تلخـيص ابـن سـيناء لفـن الشـعر فـي كتابـه الشـفاء، والثـاني يعـود إلـى حـازم القرطاجني في منهاج البلغاء، حيث يقول ابن سيناء في الشفاء[1]:

"هـذا هـو تلخـيص القـدر الـذي وجدتـه فـي هـذه الـبلاد مـن كتـاب "الشـعر" للمعلـم الأول. وقـد بقـي منـه شـطرٌ صـالح. ولا يبعـد أن نجتهـد نحـن فنبتـدع فـي علـم الشـعر المطلـق، وفـي علـم الشـعر بحسب عادة هذا الزمان، كلاما شديد التحصيل والتفصيل".

ثم ينقل عن القرطاجني من منهاج البلغاء، قوله[2]:

---

(١) كتاب الشفاء لابن سيناء، تخليص فن الشعر لأرسطوطاليس، ط ١٩٥٣، ص ١٩٨ .

(٢) حـازم القرطـاجني، منهـاج البلغـاء، تقـديم وتحقيـق، محمـد الحبيـب بـن الخوجـة، ط الثالثـة، الـدار العربيـة للكتاب، تونس ٢٠٠٨، ص ٦١ . ٦٢ .

"وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنه من جملة ما أشار إليه أبو علي بن سيناء. وقد تركت من ذلك أشياء لم يمكّني الكلام فيها لكون بعض أغراض النفس تحث على الانحفاز في التأليف وتعجيل الإتمام له، ولأنّ استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخوّن أزمنة الناظر وتعوقه عما يجب أن يترقي إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة، فإن النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومرقاة لها. وإنما يجب أن يُقتصر في التأليف من هذه الصناعة على ظواهرها ومتوسطاتها، ويُمسك عن مضطر إلى الإطالة الكثيرة، ولأن هذه القوانين الظاهرة والمتوسطة أيضا مَن فهمها وأحكم تصوّرها وعرفها حق معرفتها أمكنه أن يصير منها إلى خفايا هذه الصنعة ودقائقها، ويعلم كيف الحكم فيما تشعّب من فروعها، فيحصل له جميع الصنعة أو أكثرها بطريق مختصر".

إن اللافت للنظر في النصين اللذين يستحضرهما بنّيس أنهما يتحدثان عن "أسرار لصنعة الشعر"، لا يدركها إلا العالم الذي يملك حسّا خاصا، ومعرفة نوعية بهذا النوع من الصناعة. وقد ذكر ابن سينا في نهاية ملخصة لكتاب الشعر أن هذا ما وجده من كتاب أرسطو، ثم يضيف جملته الدالة: "ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق، وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان، كلاما شديد التحصيل والتفصيل".

وهي تعني أن ما ورد في كتاب الشعر لأرسطو لم يستغرق كل ما يمكن قوله في هذه الصناعة، وأن بالإمكان إضافة المزيد حول هذه الصناعة، بكلام حصري "شديد التحصيل والتفصيل". وهو المعنى نفسه الذي أكده القرطاجني، غير أنه _ بحسب ما يقول _ أضاف من تفاصيل الصناعة ما يرجو به أن يكون "من جملة ما أشار إليه أبو علي بن سيناء".

ثم يعود فيؤكد أنه لم يذكر من هذه التفاصيل إلا ما يتعلق بـ "ظواهرها ومتوسطاتها"، فقد ترك الكلام عن الكثير مما يتعلّق بها، لأنه محوج إلى تأمل وزمن طويل، قد لا يسعف عمر المرء به. ومع ذلك يؤكد مرة أخرى أنّ مَنْ يتأمل في القوانين الظاهرة والمتوسطة _ لعله يقصد بها الخفية _ يستطيع أن يصل إلى إدراك الأسرار الكاملة لهذه الصناعة.

وفكرة أن قوانين صنعة الشعر تحتاج إلى تأمل، وأن ما وُجد في كتاب الشعر لأرسطو، اعتمد عليه أكثر نقاد الشعر وفلاسفته في التراث العربي، واحدة من أبرز الآثار التي تحرّك بنّيس في تناوله للشعر؛ إذ يؤكد مرارا على أن ما رصده النقاد العرب قديما وحديثا، ليس

كافيا لتفسير ظواهر الشعر العربي المعاصر، وأن هذا التفسير يحتاج إلى "غزو مزدوج"[١]، يستطيع به تفكيك الأفكار الأساسية حول هذا الشعر في النقد العربي من جهة، وتفكيك بنيات الشعر "العملي"؛ أي النماذج الشعرية التي اعتمدها في التحليل، في الجهة المقابلة. ومن العملين _ تفكيك المقولات وتفكيك الشعر _ يستطيع أن يصل إلى ما يراه بنية/ بنيات كامنة في الشعر العربي المعاصر، بما يفسّر وضعيّته، ويتنبّأ باحتياجاته المستقبلية لتحقيق شعريّته الكاملة.

وحجة بنّيس الأساسية في ذلك هي نقد موقف النقاد والفلاسفة القدماء من كتاب أرسطو، في التراث العربي، فهم _ كما يرى _ أضافوا لكتاب أرسطو نوعا من القداسة، حالت دون إدراكهم الفعلي لاختلاف قوانين الشعر العربي عن الشعر اليوناني الذي اعتمد عليه أرسطو، وكان من نتيجة ذلك أنهم عاونوا في كبت الشعرية العربية، على الرغم من إدراك القرطاجني وتصريحه في منهاج البلغاء أن أرسطو لو أدرك الشعر العربي في زمنه لزاد على كتابه القوانين الشعرية التي تلائم هذا الشعر[٢]. إلا أن ما يعيب القرطاجني أنه اتبع منهج ابن سينا، وأنهما معا لم ينتبها لمأزق التصنيف الأرسطي، رغم إدراكهما أيضا أن قوانين الشعر تتبع "عادة هذا الزمان"، وهو ما يصرّح به بنيّس مؤكد، في قوله[٣]:

"إن انتباه ابن سينا لمأزق التصنيف الأرسطي، واتباع حازم القرطاجني سبيل ابن سينا، بل وتنفيذ رغبته، لم يرق إلى مستوى إدراك الاختلاف بين الشعر اليوناني ذي الأسلوبين الملحمي والدرامي من جهة، والشعر العربي من جهة ثانية. وإلى ذلك ينضاف اتخاذ المحاكاة كحقيقة مطلقة. بهذا يتأكد تقديس كتاب الشعر لأرسطو من قبل الفلاسفة والشاعريين العرب القدماء المتأثرين بالفلاسفة. وما كان لهذا التقديس أن يحول دون زيادة حجة مقدمة إضافية لكبت الشعرية العربية".

على هذا النحو يؤسس يبنّيس حجته في رفض التصنيف الأرسطي للشعر، ورفض التصنيفات التي قامت عليه من لدن الفلاسفة والنقاد العرب القدماء، مقيما هذه الحجة على

(١) ينظر الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها، ٤ مساءلة الحداثة، دار توبقال للنشر، ط الثالثة، المغرب ٢٠١٤، ص ٥ ـ ٦ .

(٢) ينظر الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ٤ مساءلة الحداثة، ص ١٢ــ ١٣ ، وحازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ٦٩ .

(٣) الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ٤ صدمة الحداثة، ص ١٣ .

مـا يسـميه مـأزق التصـنيف الأجناسـي المعتمـد علـى المحاكـاة الأرسـطية. وهـذا الـرفض واحـد مـن التصـنيفات المتعـددة التـي رفضـها أيضـا بنّيس،ـ وشـملت الرومانسـية والغنائيـة[١]. وهـذا الـرفض المتعـدد إنمـا يـأتي ضـمن فكـرة بنّـيس عـن "الغـزو المـزدوج" لإعـادة قـراءة الشـعرية العربيـة، فـي ضـوء التـراث العربـي، بمـا فيـه مـن أصـول يونانيـة؛ يمثّلهـا كتـاب الشـعر لأرسـطو، وبمـا فيـه أيضـا مـن قـراءات معاصـرة عربيـة لهـذه الشـعرية، إضـافة إلـى الشـعر العربـي الحـديث نفسه، بحسب ما اختاره بنّيس منها في تحليلاته المتعددة لبنياتها.

ومـن هنـا ينتقـل بنّـيس إلـى قـراءة الشـعرية العربيـة فيمـا يسـميه أفـق مفتـوح، وهـو يعنـي بـه قـراءة حاضـرها فـي ضـوء ماضـيها وماضـي الشـعريات العالميـة، بمـا فيهـا الهنديـة والصـينية، مستحضـرا نصـا دالا فـي مفتـتح كتابـه للصـيني المعاصـر "فرانسـوا تشـينج Francois Cheng [٢]، حيـث يعتمـد تحليـل الشـعر، والحفـر فـي بنياتـه علـى الدلالـة، لا الشـكل الظـاهري للـنص الشـعري. ومـن ثـم ينتقـل الحـديث كلـه إلـى تعريـف الشـعر وتحديـد طبيعتـه مـن جهـة المعنـى، حيـث يستحضـر المرزوقـي، فـي نـص دال آخـر، مـن خـلال مقدمتـه لشـرح ديـوان الحماسة.

***

[١] السابق، ص ١٥ . ٣٢

[٢] الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، 1 . التقليدية، ص ٢٠، ص ٥٧

المحور الثالث

شعرية الدلالة

عند الحديث عن الشعرية العربية، ينقل بنّيس الحديث كله إلى الدلالة، ومؤكدا أن ما يجمع بين اللفظ والمعنى في تحديدها "الوجود السابق للمعنى قبل بناء النص، فالشاعر يعيّن المعنى الذي يبتغي تناوله في القصيدة، ثم يبني قصيدته بعد ذلك"[١]. ويستشهد بنّيس على ذلك بكلام المرزوقي في مقدمته لشرح كتاب الحماسة، حيث يقول[٢]:

"ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره إلى أن يكون استفادة المتأمل له، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله. وهم أصحاب المعاني، فطلبوا المعاني المُعجبة من خواصّ أماكنها، وانتزعوها جزْلةً عذبة حكيمة ظريفة أو رائقة بارعة، فاضلة كاملة، لطيفة شريفة، زاهرة فاخرة، وجعلوا رسومها أن تكون قريبة التشبيه، لائقة الاستعارة، صادقة الأوصاف، لائحة الأوضاح، خلابة في الاستعطاف، عطّافة لذي الاستنفار، مستوفية لحظوظها عند الاستفهام من أبواب التصريح والتعريض، والإطناب والتقصير، والجدّ والهزل، والخشونة واللّيان، والإباء والإسماح، من غير تفاوت يظهر من خلال أطباقها، ولا قصور ينْبع من أثناء أعماقها، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف، محتجبة في غموض الصّيان، لدى الامتهان تعطيك مرادك إن رفقتَ بها، وتمنعك جانبها إن عنفْتَ معها".

يلفت بنّيس في بداية تعليقه على نص المرزوقي أن هذه المقدمة التنظيرية غالبا ما يتم التركيز فيها على عمود الشعر من قبل الباحثين الذين يتناولونها، متجاهلين أو متناسين هذا الجزء الذي جاء به بنّيس، وهو يركز على المعنى، وهو الأساس الذي يبني عليه بنّيس قراءته له، مؤكدا منذ البداية أن ما يهمه فيها:"أولا، وصف المعنى موشوما ببذرة الافتتان القاتل، وبحمّى الجنون الأبدي (للجنون علاقة بعدم معرفة الحدود بين الواقعي والمتخيّل)"،

(١) السابق، ص ٥٨ .

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القسم الأول، ط الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص ٧ــ ٨ ، وانظر محمد بنّيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، التقليدية، ص ٥٨ .

وثانيا، قانون غزو المعنى ونتائج غزو المعنى"[١].

ثم يستأنف تعليقه على هذا النص مؤكدا مرة أخرى أن المعنى "ذو مركزية في الشعرية العربية، وفي غيرها أيضا"[٢]، لكنه يحيل ما جاء به المرزوقي من وصف (يسميه بنيس تعريف) للمعاني على المرأة التي يشتهيها الرجل، صانعة له الغواية والمزيج المراد من الواقعي والمتخيّل، من خلال "الاستعارة الفاتكة، المتعة أو الهلاك"[٣].

و يستنتج من ذلك "أن كل قصيدة لا معنى لها هي قصيدة ميتة"[٤]، وأن الشعر يبطل "حين ينتفي المعنى"[٥]. ودور الاستعارة في ذلك هي نقل "المعنى من النثر إلى الشعر، والمرأة استعارة الرجل"[٦]. ثم يعود بنّيس ليلاحظ أن هذه الوضعية للمعنى في النص الشعري تجعله بمثابة القواعد الجافة، مثلها مثل النحو والعروض، وهي عناصر خارج نصية، فيما حقيقة التشبيه والاستعارة والعروض تجعلها عناصر نصية داخلية متجاورة، ويأتي المعنى ليتحقق "في البناء النصي عبر الدلالية التي تخص النص كنص مفرد به وفيه"[٧].

وهو ما يترتب عليه من وجهة نظر بنيس التفريق بين المعنى والدلالية، مع إلغاء أسبقية المعنى في بناء النص الشعري، وهي التي اعتمد عليها أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى في الخلاف المشهور بينهما في التراث العربي.

وحجة بنّيس في رفض المعنى الذي يسبق النص أن الدراسات الحديثة في الدلالة أثبتت لا نهائية المعنى، سواء على مستوى المعنى المفرد، وهي وجهة نظر القدماء، أم على المستوى المركب، وهي وجهة نظر المعاصرين. فيما تشكّل الدلالية _ أو الدلالة _ "مسار إنتاج المعنى"[٨]، وهو مسار يعود بنا إلى نص المرزوقي، حيث يتساءل بنّيس عن كيفية

(١) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها التقليدية، ص ٥٨ .

(٢) السابق، ص ٥٩.

(٣) السابق، نفسه.

(٤) السابق، نفسه.

(٥) السابق، نفسه.

(٦) السابق، نفسه.

(٧) السابق، نفسه.

(٨) السابق، نفسه.

غـزو الدلاليـة !! وهـو تسـاؤل قـد تـأتي إجابتـه مـن تنـاول المرزوقـي للاسـتعارة، لكـن بنّـيس لا يشـرح كيـف تـأتي منهـا، مكتفيـا بـالقول إنهـا موضـع لإثـارة حيـرة (الشـاعريين)، فوقفـوا أمامهـا كمـا وقفـوا أمـا المعنـى مـن قبـل. وهـو مـا يـدعو بنّـيس إلـى الحـديث عمـا يعلمنـا الشـعر، فهـو يعلمنـا التواضـع !! ومعطيـات المنـاهج تبطـل أمـام الرغبـة فـي البحـث والمغـامرة، بالتناسـب مـع معطيات التحليل "الغزو وطرائقه"(١).

ومـن ثـم ينتقـل بنّـيس للحـديث عـن الوضـعية التـي تجتازهـا الدراسـات الشـعرية والدلاليـة فـي أوروبـا، مسـتدعيا نصـين لبـارت ودريـدا، ومنـتقلا منهمـا للحـديث عـن الـنص ونظريتـه. ومـن ثـم ينتهـي حديثـه عـن نـص المرزوقـي الـذي كـان خطـوة انتقاليـة فـي بحـث بنّـيس عـن الشـعرية العربيـة وحقيقتهـا، لكنـه فـي الوقـت نفسـه يكشـف عـن أحـد مصـادر التفكيـر فـي رؤيـة بنّـيس النقديـة، فهـو يبحـث فـي التـراث العربـي عمّـا يـدعم فكرتـه عـن "الغـزو المـزدوج" أي التحليـل الـذي يفكـك المقـولات الأساسـية فـي مصـادرها الأولـى، ولا ريـب أن فكـرة المعنـى كانـت واحـدة مـن الأفكـار المـؤثّرة فـي بحـث القصـيدة العربيـة القديمـة والحديثـة، لكـن بنّـيس _ كمـا يمكـن أن نسـتنتج لا يثـق بهـذه الفكـرة، ويـرى أن شـعرية القصـيدة عامـة، وشـعرية القصـيدة العربيـة المعاصـرة علـى وجـه الخصـوص، تحتـاج إلـى الحفـر تحـت فكـرة المعنـى السـطحية، وتحديـد ماهيـة الشـعرية يحتـاج بكـل تأكيـد إلـى اعتبـار فكـرة الدلالـة فـي تقـدير طبيعتهـا وتوجيـه تأثيرهـا على بنية القصيدة العربية وإبدالاتها المحتملة.

***

(١) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها التقليدية، ص ٥٨ .

المحور الرابع

انتقال الشعر/ القدم والحداثة

إن سعيَ بنّيسَ لإيجاد المشترك بين القصيدة العربية القديمة والقصيدة العربية الحديثة[١] قاده إلى اكتشاف وجود أزمة في مسألة انتقال الشعر العربي من بنيته القديمة إلى بنيته الحديثة. وهي مسألة ناقشها بنّيس باستفاضة ما بين فرضية الانتقال والتطور والبعث[٢]، وقد استحضر في سياق هذه المناقشة عددا كبيرا من الأسماء الشعرية والنقدية المعاصرة، بداية من أحمد شوقي وعباس محمود العقاد وأبو القاسم الشابي، إلى عبدالقادر القط وعزالدين إسماعيل وأدونيس.

لكنه في سياق هذا الاستحضار يستحضر أيضا واحدا من الأسماء اللافتة في التراث العربي، هو ابن رشيق وكتابه العمدة، وذلك لإثبات وعي القدماء بضرورة مراعاة السياق الزمني والبيئة المجتمعية عند تحديد ما يكون به الشعر شعرا. يقول على لسان ابن رشيق من العمدة[٣]:

"والناس يتفاضلون في الأوصاف، كما يتفاضلون في سائر الأصناف؛ فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف شيء آخر، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها، وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها، كامرئ القيس قديما، وأبي نواس في عصره، والبحتري وابن الرومي في وقتهما، وابن المعتز، وكشاجم، فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف، وليس بالمحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها، والقفار ومياهها، وحُمر الوحوش، والبقر، والظّلمان، والوعول؛ ما بالأعراب وأهل البادية، الرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلّفها ليجريَ على سنن الشعر قديما، وقد ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شاكلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في أشعارهم، كرائية الحسن في الخصيب، وجيمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل.

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شاكلهما، وما كان مناسبا لهما كالكؤوس والقناني والأباريق، وتفاح التحيّات، وباقات الزهر إلى ما لابد من صفات الخدود،

(١) ينظر الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ٤ مساءلة الحداثة، ص ٤٤ .

(٢) السابق، ص ٥٣ . ٧١ .

(٣) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ٢، ط دار الجيل، بيروت لبنان، بدون، ص ٢٩٥ . ٢٩٦ .

والقـدود، والنهـود، والوجـوه، والشـعور، والريـق، والثغـور، والأرداف، والخصـور، ثـم صـفات الريـاض والبـرك والقصـور، ومـا شـاكل المولّـدين، فـإن ارتفعـت البضـاعة فصـفات الجيـوش ومـا يتصـل بهـا مـن ذكـر الخيـل، والسـيوف والرمـاح، والـدروع، والقسـي، والنبـل، إلـى نحـو ذلـك مـن ذكـر الطبـول، والبنـود، والمنحرفـات، والمنجنيقـات، ولـيس يتسـع بنـا هـذا الموضـع لاستقصـاء مـا فـي الـنفس مـن هـذه الأوصـاف، فحينئـذ أدُلّ علـى مظانهـا دلالـة مجملـة، وأذكـر ممـا قـل شـكله وعـزّ نظيـره، شـواهد وأمثلـة يعـرف بهـا المـتعلم كيـف العمـل فيهـا ومـن حيـث المسـلك إليهـا، إن شاء الله تعالى".

هـذا هـو الـنص الـذي يـورده بنّـيس مـن العمـدة[1]، وهـو نـص طويـل، يـأتي فـي بـاب الوصـف، وقـد اختـاره بنّـيس _ كمـا يقـول _ لأن النقـاد القـدماء لـم يعرفـوا ولـم يـذكروا مصـطلحات الانتقـال والتطـور ونحوهـا ذكرهـا صـريحا، وإنمـا عرفـوا الانتقـال مـن بنيـة شـعرية إلـى بنيـة أخـرى، والوصـف مـن أكثـر البنيـات _ الأغـراض _ الغالبـة علـى شـعر العـرب، باعتبـاره غرضـا، وباعتباره أداة للتعبير.

والملفـت فـي كـلام ابـن رشـيق _ كمـا يقـول بنّـيس _ أنـه ذكـر كلمـات وتعـابير دالـة علـى وعيـه بتـأثير الـزمن فـي وعـي الشـعر والشـاعر، مـن قبيـل: فـي عصـره، فـي وقتهمـا، فـي هـذا الوقـت. وهـي تعـابير دالـة أيضـا علـى وعيـه بمسـألة الانتقـال مـن زمـن إلـى زمـن ومـن عصـر إلـى عصـر، مـا يبـرّر تفريقـه بـين وصـف القـدماء _ امـرئ القـيس ونحـوه مـن شـعراء الجاهليـة والإسـلام ممـن سـبقوا عصـر ابـن رشـيق _ ووصـف المحـدثين فـي عصـره: ابـن الرومـي وأبـي نواس وكشاجم ونحوهم من شعراء الزمن.

وهـذا كلـه ممـا يتفـق مـع أمـرين فـي (غـزو) بنّـيس وتحليلـه لمسـألة تطـور الشـعر العربـي وضـرورات تحديثـه؛ الأول عصـرية الشـعر؛ أي ملاءمتـه لعصـره، مـن حيـث طريقـة التفكيـر والنظـر لطبـائع الأمـور، الأمـر الـذي يقتضـي تغييـر بنيـة القصـيدة لـتلائم أحـوال زمنهـا. الثـاني أن عمليـة التحليـل تقتضـي مـن الناقـد أن يتجـاوز القواعـد الشـكلية للمـنهج الـذي يتبعـه فـي مسـاءلة المقـولات الأساسـية للظـاهرة التـي يحللهـا، حتـى يتسـنى لـه الحفـر تحـت تلـك المقـولات، ومـن ثـم الوصـول إلـى البنيـات الفاعلـة فـي الظـاهرة التـي يتناولهـا، دون أن يقيّـد نفسـه بمقـولات المنهج، على الرغم من أنه يستهدي بأصوله في عملية التحليل.

(١) ينظر الشعر العربي الحديث، ٤ مساءلة الحداثة، ص ٦٢ .

وهذا ما يمكن أن نلاحظه في فكرة (عصرنة) الشعر؛ إذ إنها مستمدة من أصول البنيوية الاجتماعية، وهي التي تضع لتأثير البيئة والمجتمع والعصر تقديرا كبيرا في حسبانها. وهذا من وجه آخر يفسّر اختيار بنّيس لكلام ابن رشيق عن الوصف، على الرغم من أنه كلام لا يذكر على نحو مباشر مسألة التطور التي يناقشها بنّيس، لكنه في الوقت نفسه يمثّل بالنسبة لبنّيس نموذجا عن فكرة الانتقال من عصر إلى عصر، وتأثيرها في بنية الشعر.

والملفت فعلا أن كلام ابن رشيق كان واضحا وحاسما في تقدير مسألة العصرنة الخاصة بالشعر أو بالأدب عموما، فهو يقسم كلامه عن ذلك قسمين؛ يتحدث في الأول عن سمات الوصف في القصيدة القديمة قبل عصر القرطاجني _ الجاهلي والإسلامي _ من حيث الاعتماد على صفات الصحراء والخيام والسيوف والدروع ونحوها. وهي العناصر التي كانت حاضرة حضورا فعليا في حياة الشاعر القديم، ويمكن أن نقول أنها المسؤولة عن إعطاء الوصف _ القصيدة _ لمسة الواقعية فيما يعرضه الشاعر من أحاسيسه وأفكاره.

بينما يتحدث في القسم الثاني _ في عصره _ عن سمات هذا الوصف، بعد أن دخلت عليه المدنية والحضارة، واضطرت الشاعر إلى الالتفات لما يحيط به فعليا من قصور وحدائق وقيان، بل وحتى ما حدث من تطور في أدوات المعركة، من منجنيقات ومنحرفات، ونحوها من أدوات قتال متطورة عما سبقها في عصور ماضية، على الرغم مما يمكن أن يكون بينها من تشابه في مسمياتها العامة.

وليؤكد بنّيس فكرته، ويستكمل الحفر تحت ظاهرها، يستحضر _ كما ألمحت _ عددا من الأسماء التي ناقشت حاضر الشعر العربي وتطوره في زمنها، منها أسماء أحمد شوقي والعقاد والشابي، وهي أسماء لثلاثة من أعلام الشعر العربي المعاصر، ما يعني أن كلامها يميل إلى الجانب الإبداعي المعتمد على الخبرة الجمالية بحقيقة الشعر، لا الجانب القاعدي المعتمد على خبرة النقد.

والأعلام الثلاثة بما هو معروف عنهم من مكانة إبداعية، يتفقون في كلماتهم التي انتقاها بنّيس على أن الشعر يجب أن يلائم عصره من حيث المعاني والأفكار والتصوير، هذا على الرغم من التصنيفات التقليدية لهم في اعتبار شوقي محافظا وإن يكن مجددا في شعر الإحياء، واعتبار العقاد مجددا سعي إلى ترسيخ الرومانسية في الشعر العربي

الحديث، واعتبار الشابّي واحدا من أعلام الرومانسية في صورتها الناضجة[١]، و هذا شوقي يقول، على ما ينقله بنّيس من كلامه[٢]:

"اشتغل بالشعر فريق من فحول الشعراء جنوا عليه وظلموا قرائحهم النادرة وحرموا الأقوام من بعدهم، فمنهم من خرج من فضاء الفكر والخيال ودخل في مضيق اللفظ والصناعة. وبعضهم أثر ظلمات الكلفة والتعقيد على نور الإبانة والسهولة. ووقف آخرون بالقريض عند القول المأثور "القديم على قدمه" فوصفوا النوق على غير ما عهدها العرب عليه وأتوا المنازل من غير أبوابها ودخلوا البيداء على سراب. وانغمس فريق في بحار التشبيه حتى تشابهت عليهم اللجج ثم خرجوا منها بالبلل. وزعمت عصبة أن أحسن الشعر ما كان بواد والحقيقة بواد فكلما كان بعيدا عن الواقع، منحرفا عن المحسوس، مجانبا للمحتمل، كان أدنى في اعتقادهم للخيال، وأجمع للجلال والجمال، حتى نشأ عن ذلك الإغراق الثقيل على النفوس والغلوّ البغيض إلى العقول السليمة".

إن شوقي وهو يعدّد مواقف الشعراء والنقاد من الشعر يصنفهم فئات، تتراوح بين التعصب للقديم والتحلل من كل أثر للواقع، مغرقا في الخيال. وهي مواقف جميعها لا يتفق مع حقيقة الشعر التي يشير إليها شوقي إشارة بعيدة في عبارته: الجلال والجمال. لكن شوقي لم يعيّن من يقصدهم من أولئك الفحول الذين أتعبوا أنفسهم وأتعبوا من بعدهم، ولم يعيّن أيضا النقاد الذين يعنيهم، هل هم في عصره؟ أم في العصور التي سبقته ؟ وبالتالي فإن كلامه عن هذه المواقف المتناقضة يصلح لكل عصر، وكموقف عام من حقيقة الشعر، فهو يجب أن يلائم عصره، مع الاختلاف المحتمل في كيفية الملاءمة. وهو ما قد يعني أن شوقي يتكلم عن تجربته الشخصية في هذا المجال.

لكن ما يعنينا من ذلك هنا أن شوقي كان واعيا بتأثير الزمن وتطورات المجتمع على حقيقة الشعر؛ مبنىً ومعنى، انطلاقا من وجود أزمة في الممارسة الإبداعية التي يجسدها الشعراء، ويعبر عنها النقاد. وهو ما التقطه بنّيس في استناده لهذا المعنى، حين قرّر بوضوح أن ثمة أزمة تواجه الشعر العربي المعاصر[٣]، وهي أزمة تبدأ من الخلاف حول ما

(١) ينظر عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، د .ط، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٨م، ١٣٥ . ١٣٩ ، ٢٦٩ . ٢٧٠ .

(٢) أحمد شوقي، نقلا عن محمد بنّيس، الشعر العربي الحديث، ٤ صدمة الحداثة، ص ٦٧ . ٦٨ .

(٣) السابق، ص ٦٧ . ٦٨ .

حدث ويحدث في حقيقة هذا الشعر، هل هي انتقال من الماضي إلى الحاضر، بما يضعنا أمام القضية القديمة المتجددة: القدم والحداثة، أم هي تطور طبيعي، يحدث مرافقا لتطور المجتمع ؟ أم هي إحياء لحقيقة الشعر بعد زمن من الموات، عاني فيه الهمود والسكون ؟ أم هي أزمة الشاعر نفسه، بعد أن استكان للجاهز المتاح، فأبعده سكونه عن حرارة الشعر وقوة التعبير الصادق، على نحو ما ينقل أيضا بنّيس عن العقاد في كتابه: الديوان، حيث يقول [١]: "فالعيوب المعنوية التي يكثر وقوع شوقي وأضرابه فيها عديدة مختلفة الشيات والمداخل، ولكن أشهرها وأقربها إلى الظهور وأجمعها لأغلاطهم عيوب أربعة، وهي بالإيجاز: التفكك والإحالة والتقليد والولوع بالأعراض دون الجواهر. وهذه العيوب هي التي صيّرتهم أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم عن النفس الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة والخلود من الزنجي عن المدنية من صور الأبسطة والسجاجيد كما ت يقول ماكُوليّ عن نفائس الصور الفنية"[٢].

إن العقاد هنا وهو يتحدث عن أحمد شوقي باعتباره نموذجا للتقليد الذي لا يستجيب لحقيقة الشعر، إنما يستجلي هذه الحقيقة بوصفها ترجمة عن النفس الإنسانية، في أصدق علاقاتها بالطبيعة. وبغض النظر عن غلواء العقاد في انتقاد شوقي وتجاهله للقيمة الفنية العالية التي يمثلها، بسبب موقفه التاريخي من المحافظين[٣]، فإن هذا الموقف نفسه يشير إلى ما يلمحه العقاد من وجود أزمة بين الشعر والشعراء، بإصرارهم على تجاهل الأوضاع التاريخية لحيواتهم المعاصرة، واعتمادهم على إعادة إنتاج نموذج شعري ينتمي لأزمة ماضية، ولا تعبر عن الحاضر.

نحن إذن أمام أزمة نموذج وصراع بين فهم تقليدي للشعر، يراه إنتاجا متكررا لنموذج مستقر في الوجدان الجمعي للأمة، ويعبر عن ماضيها أكثر مما يعبر عن حاضرها. والإحساس بوجود هذه الأزمة _ كما يؤكد بنّيس _ هو الشرط الأول في إمكانية التجاوز وتحقيق قفزات نوعية في الحاضر الفني[٤]. وهذا هو التأثير الأبرز الذي استقاه بنّيس من كلام العقاد ومن كلام شوقي قبله، كما يستقيه من كلام الشابّي في حديثه عن الخيال

(١) الشعر العربي الحديث، ٤ صدمة الحداثة، ص ٦٨ .

(٢) عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، الديوان في الأدب والنقد، ط مؤسسة هنداوي، بدون، ص ١٢٢ .

(٣) ينظر محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، ص ٨ . ١٣ .

(٤) ينظر الشعر العربي الحديث، ٤ مساءلة الحداثة، ص ٦٧ .

الشعري، حيث يقول [١]:

"فأنا إذن عندما أقول ذلك الرأي عن الأدب العربي لا أزعم أنه لا يلائم أذواق تلك العصور ولا أرواحها، ولكنني أقول إنه لم يعد ملائما لروحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالي ولأميالنا ورغائبنا في هذه الحياة، فقد أصبحنا نرى رأيا في الأدب لا يمثّله ونفهم فهما في الحياة لا نجده عنده ونطمح بأبصارنا إلى آفاق أخرى لم تحدثه به أحلامه ولا يقظاته"[٢].

وكلام الشابّي هنا يعود بنا إلى كلام ابن رشيق في العمدة، حيث يفرّق بين أذواق عصر قديم، وأذواق عصر حديث، ويؤكد أن لكل عصر ما يناسبه من الألفاظ والأفكار والأخيلة، وما يلائم ذلك لا يلائم هذا، ولابد من البحث عن الملاءمة حتى يحدث التعادل بين الأذواق والأمزجة من جهة، والتعبير الفني في الجهة المقابلة. ولولا أن الشابّي رأي في إنتاج معاصريه من الشعراء مخالفة لهذه الملاءمة لما تحدث عن الأدب العربي مفرّقا بين قديم وجديد.

وما يهمنا أن بنّيس التقط من كلام الشعراء الثلاثة فكرة وجود الأزمة التي بنى عليها ضرورة الوقوف أمام حقيقة الشعر ومدى ملاءمته للعصر الذي يُقال فيه. وهي فكرة تتكرر في كتابات بنّيس اللاحقة، خاصة في كتابه: حداثة السؤال، حيث يفتتحه بإعادة مناقشة أسباب همود الشعر في المغرب وعدم استجابته لدواعي التغيير[٣]، وكذلك حين يستعيد موقف أحمد شوقي فيما يسميه النص المجهول، مستعيدا موقف طه حسين وآخرين من بعض قصائد شوقي المنشورة في ذلك الزمن[٤]. ومن هنا ينتقل بنّيس للبحث في ما حدث في الشعر العربي الحديث، هل هو تطور أم انتقال أم غير ذلك ؟

وللإجابة عن هذا السؤال يقف بنّيس أمام ما يعنيه كل لفظ؛ التطور، التغيّر، التحوّل. وهو فيما يبدو يتفق إلى حد ما مع دلالة اللفظ الأخير: التحوّل؛ لأسباب تتعلّق بحقيقة الإبداع والكتابة، وهو موقف أدونيس على الأخص. أما التطور والتغيّر فيراهما لفظان خادعان، أشاعهما مجموعة من الأسماء النقدية الرصينة؛ اعتمدت في موقفها على أحكام

(١) السابق، ص ٦٨ .

(٢) أبو القاسم الشابّي، الخيال الشعري عند العرب، ط هنداوي، ص ٦٨ .

(٣) محمد بنّيس، حداثة السؤال:ـ بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ط ثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨، ص ١١ . ١٧ .

(٤) السابق، ص ٨٨ .

القيمة، وهي أحكام لا تفيد في الوصول إلى حقيقة الشعر وبنياته وإبدالاته المحتملة(١).

وكعادة بنّيس في غزوه التحليلي، يستعيد أسماء ومقولات عدد من النقاد البارزين ممن تناولوا مسألة الشعر العربي الحديث وتطوره، منهم علي عباس علوان في كتابه: الشعر العربي الحديث في العراق، ومحمد صالح الجابري في كتابه: الشعر التونسي المعاصر، وعز الدين إسماعيل في كتابه: الشعر العربي المعاصر(٢).

أما كتابا علوان والجابري فهما كتابان خاصان بالشعر العربي في بيئة محددة، وإقليم معين، في حين أن كتاب عز الدين إسماعيل _ وهو الأشهر بينهم بكتاباته وإسهاماته النقدية المتعددة _ فكتابه يتناول ظاهرة الشعر العربي المعاصر، في كل المجتمعات والبيئات العربية. وما يلفت نظر بنّيس في الكتب الثلاثة أنها تحدثت عن مصطلح التطور دون أن تحدد المقصود به، بل إنها تخلط بينه وبين التحوّل والتغيّر، على ما يقول بنّيس: " وجميع هذه الاستشهادات وغيرها، يُستعمل فيها مصطلح تطور كلغة واصفة من غير تعريف أو تحديد، بل إنه يأتي مصاحبا لمصطلح تحوّل لدى عباس علوان، وتغيّر لدى عز الدين إسماعيل، دونما تبيين لدرجة الفرق بين المصطلحين عند هذا أو ذاك"(٣).

ورغم أن بنّيس يعود فيكرر ملاحظته نفسها عن مصطلح "تحوّل" عند أدونيس، ويقرنه بمصطلحين آخرين، هما التجاوز والتخطّي، عند خالدة سعيد وإلياس خوري، وهم جميعا من مؤسسي حداثة القصيدة العربية، من خلال مجلتي شعر ومواقف اللبنانيتين، إلا أن موقف بنّيس مما جاءوا به في مسألة تحوّل القصيدة العربية يميل إلى أن يكون موقف المعجب؛ إذ يبني على كلامهم حديثه عن الكتابة والجسد في القصيدة، وهو حديث طويل في كتابات بنّيس، خصّص له قسما واضحا من الجزء الرابع لكتابه: (الشعر العربي الحديث:ـ بنياته وإبدالاتها، ٤ ـ مساءلة الحداثة)، كما خصص له أيضا معظم ما جاء في كتابيه: كتابة المحو، وكلام الجسد، وكذلك قسما من كتابه: حداثة السؤال.

ويمكن القول: إن ما رود في كتبه الثلاثة الأخيرة: كتابة المحو، كلام الجسد، حداثة السؤال، هو ترداد وصدى لما جاء به في أطروحتيه عن الشعر المغربي المعاصر، والشعر

(١) ينظر الشعر العربي الحديث، ٤ مساءلة الحداثة، ص ٥٣ .

(٢) السابق، ص ٥٤ . ٥٥ .

(٣) السابق، ٥٥ .

العربي المعاصر. لكن المهم في هذا الكلام أنه يجسّد رؤية بنّيس لحقيقة القصيدة، مستقيا رؤيته من مصادر عربية وأجنبية. و المصدر العربي كما ألمحت إليه، يعود خاصة إلى الأسماء الثلاثة التي ذكرتها: أدونيس، خالدة سعيد، إلياس خوري، كما يعود إلى آخرين من نقاد الحداثة العربية، وهم جميعا يتفقون على أن القصيدة بمعناها الحقيقي، تقتضي النظر إليها بوصفها جسدا، وتحوّلا مستمرا، يتجاوز المعنى المسبق، والرؤية الثابتة للحياة والكون.

* * *

المحور الخامس

التطور والتجاوز

على نحو ما ألمحت، سعى بنّيس إلى تفكيك مقولات التطور والتغيّر التي قدمها النقاد العرب في إطار بحثهم عن وضعية الشعر العربي المعاصر ورصد مظاهره، ومن بين هذه المقولات التجاوز والتخطّي اللذين طرحهما أدونيس وخالدة سعيد وإلياس خوري، وهما المصطلحان اللذان استعملهما هؤلاء، لا للتعبير عن تطور الشعر العربي ووضعيته المعاصرة، وإنما للتعبير عن التجاوز الذي يتخطّى كل القديم، ويؤسّس نموذجه الحديث، مازجا بين الشكل والمضمون، لتصبح الكتابة بذاتها عنصرا فاعلا في النموذج الجديد للقصيدة العربية، وهو نموذج متحوّل، لا يستقر على شكل واحد، ويسعى دائما إلى تجديد جلده.

قدّم أدونيس رؤيته في تحوّل الشعر العربي باعتباره بحثا عن نظام جديد، يصدر عن إرادة ووعي الشاعر العربي المعاصر، ويلبّي طموحات الفئات الجديدة من الجمهور العربي، قال، على ما ينقله بنّيس[١]: "الشعر الذي نسميه أصيلا، في ضوء هذا المنظور، هو الشعر الذي يبحث عن النظام الشعري القديم، أي هو الذي يصدر عن إرادة تغيير النظام القديم للحياة العربية، وعن طموح الفئات الجديدة بهذا التغيير، والقادرة على تحقيقه، والعاملة له لأنه قضيّتها الأولى. ولأنه بذلك، تمارس دورها التاريخي والطبيعي. إنه الشعر الذي يغيّر أولا طريقة استخدام أدواته، لكي يستطيع أن يغيّر طريقة التذوّق، وطريقة الفهم، ولكي يتغيّر تبعا لذلك، دور الشعر ومعناه، عما كان عليه في النظام القديم للحياة العربية"[٢].

والجديد الذي يقدمه أدونيس في هذه الرؤية هو ربطه بين الشعر الجديد الذي يدعو إليه في جهة، و التفاعل بين الوقائع الشعرية والوقائع العامة الاجتماعية والثقافية، في الجهة المقابلة. وهو عين ما أوضحه من قبل شكري عياد في كتابه: الأدب في عالم متغيّر، حين قال[٣]: "فمناقشة العلاقة بين الشكل والمضمون تثير في الذهن _ ولو من بعيد _ العلاقة

(١) الشعر العربي الحديث، ٢ . مساءلة الحداثة، ص ٥٦ .

(٢) أدونيس، الثابت والمتحول، ٣ . صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، بدون، ص ١٤٦ .

(٣) شكري محمد عياد، الأدب في عالم متغير، ص ١٣، نقلا عن محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، ٤ـ مساءلة الحداثة، ص ٥٦ .

بين النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التقليدية منها والمقتبسة، وبين المقاصد المبتغاة منها. وهكذا تظهر عقدة العقد في قضية التغيير، وهي أن تغيير النظم يجب أن يساير تغيّر المقاصد ويخضع له، كما أن تغيير الشكل في العمل الأدبي يجب أن يساير تغيّر المقاصد ويخضع له".

وقد أكد بنّيس أن هذا الربط بين الوقائع الشعرية والوقائع الاجتماعية والثقافية "يكتسب قوة إجرائية تمتد من الجزئي إلى الشمولي"(١)، و تبرّر التقارب بين ما دعا إليه شكري عياد وما قرّره أدونيس من رؤية التغيّر الضروري في نظام الشعر العربي الحديث. ومن ثم تتقرّر فكرة التحوّل المستمر في بنية القصيدة العربية الجديدة، أو التجاوز على ما قرره أدونيس في الثابت والمتحول، وخالدة سعيد في حركية الإبداع، وإلياس خوري في دراسات في نقد الشعر(٢).

وإذا كانت خالدة سعيد ركزت في تناولها للتجاوز في الشعر العربي الحديث على اللغة الشعرية، التي يريد لها الشاعر الجديد "أن تكون تأسيسا لحقائق جديدة، وكشفا متصلا لوجه الإنسان البهي، متهجّيا بذلك الطموح العربي الجارف الذي ما زال يتلعثم بحثا عن النهج والطريق لاستئناف الإبداعية والخرق والتخطّي"(٣)، فإن إلياس خوري يقرن التجاوز باللغة الجديدة التي ترفض الخضوع للقواعد الجامدة، وتؤسّس لشعر لا يستقر على صيغة ثابتة أو شبه ثابتة، من خلال الكتابة التي تعمل كمؤشر ثقافي في غياب الديموقراطية القسري؛ إنها في النهاية "لغة اللغة الجديدة"(٤) التي لا تستطيع إثبات حضورها إلا بتجاوز الأطر السابقة، وتغرس نفسها "في بنية اللغة، في قدرتها على استنبات القول الشعري في خصوصية تفجير اللغة وإعادة تشكيلها"(٥).

(١) بنيس، الشعر العربي الحديث، ٤ . مساءلة الحداثة، ص ٥٧.

(٢) السابق، ص ٥٨ .

(٣) خالدة سعيد، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، ط الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٨٦، ص ٥٥ .

(٤) إلياس خوري، دراسات في نقد الشعر، نقلا عن بنيس، الشعر العربي الحديث، ٤. مساءلة الحداثة، ص ٥٩.

(٥) إلياس خوري، دراسات في نقد الشعر، نقلا عن بنيس، الشعر العربي الحديث، ٤. مساءلة الحداثة، ص ٥٩ .

ومسألة اللغة الجديدة وتعبيرها عن التجاوز من خلال تفجير إمكانيات تعبيرها، هو ما دعاه أدونيس: تجربة كيانية، وهي تجربة "من طور يتجاوز طور الكلام"(١)، يتجاوز طور الشكل، ويعلمنا أن علم جمال الشعر "ليس علم جمال الثابت، وإنما هو علم جمال المتغيّر"(٢).

وهو ما يعني في تفسير بنّيس الاندماج بين الشكل والمضمون، والانطلاق نحو الكتابة المطلقة، الكتابة التي يتلاحم فيها جسد القصيدة بمعناها، ويولّده في لحظة الإبداع نفسها، فلا معنى سابق على لحظة الكتابة، ولا شيء خارج الكتابة، ما يحول الشعر إلى تجربة وجودية، ويحوّل القصيدة إلى جسد، على النحو الذي يستفيده بنّيس من أدونيس في بيان الكتابة(٣)، نقلا عن "سوزان برنار" في قصيدة النثر، و"مفيدا من بودلير والرمزية الفرنسية"(٤)، كما يستفيده من "رولان بارت"، و "جاك دريدا"، و جوليا كريستيفا" في حديثهم عن مفهوم النص والكتابة، وهو ما يعتمد عليه بنّيس في طرحه لفرضية الإبدال في بحث بنيات الشعر العربي الحديث، بعد أن سعى إلى تفكيك مقولات الشعراء والنقاد العرب، قدماء ومحدثين، عن الانتقال والتطور والتغير والتجاوز(٥).

***

(١) أدونيس، نقلا عن بنيس، الشعر العربي الحديث، ٤ . مساءلة الحداثة، ص ٦٨ .

(٢) السابق، نفسه.

(٣) ينظر أدونيس، بيان الكتابة، مجلة شعر، ع 11، صيف ١٩٥٩، ص ٧٩، نقلا عن بنّيس، الشعر العربي الحديث، ٤ . مساءلة الحداثة، ص ٥٨ .

(٤) بنيس، الشعر العربي الحديث، ٤ . مساءلة الحداثة، ص ٥٧ .

(٥) السابق، ص ٧٦ . ٧٧.

خاتمة

سعى محمد بنيس إلى إيجاد منهجية خاصة به، تجعله قادرا على تفكيك الأحكام النقدية الأساسية فيما يتعلق بظاهرتي الشعر المعاصر في المغرب والشعر العربي الحديث، وذلك من خلال الاعتماد على مفهوم البنية باعتباره قاعدة معرفية تحكم تشكيل النص الإبداعي. لكنه مع هذه القاعدة أضاف إليها مفاهيم الحداثة، بما يحررها من صرامة المصطلح، ويجعلها قادرة على التجاوب مع البدائل المختلفة لتشكّل النص الإبداعي العربي.

وعلى أساس هذا المسعى تميّز تعامل بنيس النقدي مع الظاهرة الإبداعية بالاعتماد على جناحين نقديين: الأول:ــ البنيوية التكوينية باعتبارها قراءة للنص الإبداعي في سياقه التاريخي، وخصائصه التكوينية، والثاني:ـ تنوّع مفاهيم الحداثة وتطوّرها في السياقين الغربي والعربي، باعتبارها مظلة لقراءة تجليات الحداثة في النص الشعري العربي.

لكن بنيّس لم يقصر جهوده على قراءة النص الشعري فحسب، فقد كشفت تحليلاته النقدية المتعددة والمتنوعة عن ضرورة تحرير اللغة العربية من ذاكرتها التاريخية الثابتة، لتكون قادرة على التجاوب مع متغيّرات العصر، والتعبير عن التجارب الوجدانية المعاصرة في الوطن العربي.

لقد أراد بنيس في عمله النقدي أن يؤسس لكتابة إبداعية/ نقدية، تستجيب لحساسية النص الأدبي، وتتجاوز جمود المصطلح النقدي، من خلال ما سماه الغزو المزدج، وهو نهج اعتمد فيه بنيس على استحضار أصول المفاهيم النقدية والإبداعية، ثم تفكيك هذه الأصول وبيان أوجه القصور فيها، على النحو الذي استعمله النقاد والباحثون من قبل. ومن ثم يعيد تركيب هذه المفاهيم في سياق تحليله للنص الشعري.

وفيما يتعلّق بالمصدر العربي، فقد استند بنيس في قراءته الإبداعية للمفاهيم والمقولات النقدية على جناحين كبيرين: الأول يمكن أن نسميه: أصول الصنعة، بالرجوع إلى ابن خلدون وحازم القرطاجني، وأضرابهما من النقاد العرب القدماء، والثاني جناح حداثة القصيدة العربية، بالرجوع إلى أسماء نازك الملائكة وأدونيس وإلياس خوري، وغيرهم من النقاد العرب المعاصرين.

لقد أراد بنيّس أن يظهر مأزق التعامل النقدي العربي القديم مع ظاهرة الشعر العربي نفسه، ولذلك عاد إلى أصول الصنعة الشعرية، على نحو ما ذكرها ابن سينا والقرطاجني، وكشف عن وقوع هذين العلمين الكبيرين في فجوة التصنيف الأجناسي الذي وضعه أرسطو

عن المحاكاة في كتابه الأشهر عن الشعر.

ولقد أكد بنيس في تحليله لما أقرّه كل من ابن سينا والقرطاجني أن ذكره هذان العلمان، وسار عليه من بعدهما النقد العربي، أسهم في كبت الشعرية العربية، وأن تحرير هذه الشعرية والكشف عن خصائصها يقتضي الوقوف عند حساسية النص الشعري نفسه وتجاوز الجمود المنهجي في فكر أرسطو عن الشعر.

ومن هنا، سعى بنّيس إلى إيجاد بديل للتعامل النقدي العربي مع إبداعية الشعر، وهو ما وجده في نص للمرزوقي يتحدث عن (دلالية) الشعر؛ لا عموده المشهور في المقدمة المعروفة لشرح الحماسة. و الدلالية التي يعنيها بنيّس هي الاستعارة التي تجعل من المرأة استعارة للرجل، وتجعل من الفكرة الماتعة هدفا له. وبالتالي، فإن المعاني السطحية لا تمثّل حقيقة الشعر، ولا تقرّبنا من طبيعته التي تعلّمنا البحث والمغامرة، وتفتح أفق الدلالة، وتتجاوز المعنى الجامد المحدود، سواء على مستوى المفرد أو مستوى المركب. ومن ثم تتموضع شعرية القصيدة العربية وحداثتها في هذه الدلائلية المفتوحة، وتحقق الغزو المزدوج على مستوى التعاطي مع النص، نقديا وإبداعيا.

وفي سياق بحثه عن شعرية القصيدة العربية ضمن الدلائلية _ المعنى المفتوح _ يقف بنّس عند موقف ابن رشيق في العمدة، مستقيا منه مبدأ أساسيا من مبادئ الشعر، هو مناسبة العصر، والتعبير عن الوضعية الاجتماعية لمبدعه. و يؤكد بنّيس موقفه هذا بالعودة إلى الشعراء المبدعين: شوقي، العقاد، والشابي، مبرزا رؤيتهم لحقيقة القصيدة العربية، باعتبارها نموذجا متحوّلا، يستقيه مبدعه من عصره ومجتمعه، الأمر الذي يجعل الشاعر واعيا بمتغيّرات عصره، وشاعرا بالمأزق الإبداعي الذي تفرضه عليه تلك المتغيّرات، بين نموذج قديم ونموذج جديد، ينبغي الخضوع لمقتضياته.

والشعور بالمأزق الإبداعي هو الشرط الأول الذي يمكن منه الوصول لحداثة القصيدة في زمنها. ومن هنا يناقش بنّيس حقيقة القصيدة العربية المعاصرة، في ضوء رصد النقاد المعاصرين لوضعيّتها، ما بين تطور وتحوّل وتغيّر، ليصل بنّيس من ذلك أن حقيقة القصيدة تكمن في تجاوزها النموذج القديم وبحثها الدائم عن نموذج جديد متحوّل، يناسب اللحظة الإبداعية، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال امتزاج إحساس المبدع وفكره مع ذاتية القصيدة، باعتبارها كائنا مستقلا. وهو الامتزاج الذي يفرز علاقة خاصة بين المبدع ونصه، تكمن فيما يسميه بنّيس: الكتابة بالجسد.

لقد كان بنّيس في حقيقة الأمر يسعى إلى إيجاد ما يمكن أن نسميه: القصيدة المطلقة؛ أي القصيدة التي تتجاوز النموذج الثابت، والمعنى الثابت، وتؤسس شكلها ومعناها في لحظة الإبداع، الأمر الذي يحوّل الشعر إلى تجربة وجودية، ويحوّل القصيدة إلى جسد متحوّل، يستجيب لحساسية الشاعر ولانفتاح المعنى، وهما معا _ التجربة والقصيدة _ يستجيبان للسياقات الاجتماعية والثقافية والشعرية التي تحيط بالشاعر والقصيدة.

***

المراجع

١ _ أدونيس (محمد على سعيد)، الثابت والمتحول، ٣. صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، بدون.

٢ _ أسود (جاك) ، المغرب الشعري في دراسة بنيوية، الفكر العربي (٢٣٠_ ٢٣٣)، مج ٢، ع ١٤، ١٩٨٠م.

٣ _ الأعرجي (رضا) (محاور)، محمد بنيس: من الحنين إلى الصراخ الهادئ، الأقلام (٦٧_ ٧٣)، س ٢٣، ع ٣، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨م.

٤ _ بدرة (قرقري)، تجليات القراءة الشعرية في نقد محمد بنيس، مجلة النص (٣٦٥_ ٣٧٠)، جانفي ٢٠١٦.

٥ _ بن تيشة (عبدالعزيز)، بوعزة (عبد القادر)، تمثّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية (٢١٩_ ٢٣٢)، المجلد ٤، العدد ٣، سبتمبر ٢٠٢١م.

٦ _ بلخوجة (عبد العزيز)، حمودي (محمد)، السياق المعرفي والمرجعية الفكرية للكتابة الشعرية عند محمد بنيس، مجلة منتدى الأستاذ (٢٨٠_ ٢٩٠)، المجلد ١٨، العدد ١، الجزائر، ديسمبر ٢٠٢٢م.

٧ _ بنيس (محمد) ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، ط ٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥م.

٨ _ بنيس (محمد)، الشعر العربي الحديث _بنياته وإبدالاتها: (١) التقليدية، ط الثانية، دار توبقال للنشر، المغرب ٢٠٠١م.

٩ _ بنيس (محمد)، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها،(٤) مساءلة الحداثة، دار توبقال للنشر، ط الثالثة، المغرب ٢٠١٤م

١٠ _ بنيس (محمد)، حداثة السؤال:ـ بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ط ثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨م.

١١ _ بنيس (محمد) ، كتابة المحو، ط الأولى، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

١٢ _ بنيس (محمد)، كلام الجسد، ط الأولى، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠م.

١٣ _ بنيس (محمد)، صلاح عبد الصبور في المغرب: مقاربة أولية لهجرة النص، فصول (١١١_ ١١٦)، مج ٢، ع ١، مصر ١٩٨١م.

١٤ _ بنيس (محمد)، النص الغائب في شعر أحمد شوقي: القراءة والوعي، فصول (٧٨ _

٨٤)، مج ٣، ع ١، مصر ١٩٨٢م.
١٥ _ بنيس (محمد)، مستحيل الشعر العربي، فصول (٢٥٥ _ ٢٦٠)، مج ١١، ع ٣، مصر ١٩٩٢م.
١٦ _ بنيس (محمد)، ضرورة الأدب في البحث في العلوم الإنسانية، مجلة النهضة (١٣٥ _ ١٤٦)، ع ٩، خريف ٢٠١٤م.
١٧ _ بنيس (محمد)، على حدود العربية، مجلة النهضة (٦٧ _ ٧٢)، ع ٩، خريف ٢٠١٤م.
١٨ _ الحجري (إبراهيم)، في كتابه الحداثة المعطوبة: محمد بنيس يرثي روح حداثة عربية لم تكتمل، قوافل (٤٣ . ٤٧)، النادي الأدبي بالرياض، ع ٢١، يناير/ محرم ٢٠٠٧م.
١٩ _ حسين (مبرك)، معالم الحداثة في تجربة محمد بنيس النقدية: كتاب حداثة السؤال أنموذجا، مجلة دفاتر مخبر الشعر الجزائرية (١٦ . ٢٥)، المجلد ٨، العدد ١، ٢٠٢٣م.
٢٠ _ الخطيب (حكمت الصباغ / يمنى العيد)، في معرفة النص، ط الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥م.
٢١ _ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ٢، ط دار الجيل، بيروت ــ لبنان، بدون.
٢٢ _ سعيد (خالدة) ، حركية الإبداع ــ دراسات في الأدب العربي الحديث، ط الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٨٦م.
٢٣ _ سعيدي (عادل)، البنيوية التكوينية في النقد المغاربي ـ قراءة في تجربتي محمد بنيس ونور الدين صدار، مجلة آفاق عالمية، المجلد ١٣، العدد ٢ (٢٥٨. ٢٧٧)، السنة ٢٠٢١.
٢٤ _ ابن سيناء، كتاب الشفاء لابن سيناء، تخليص فن الشعر لأرسطوطاليس، ط ١٩٥٣م
٢٥ _ الشابي (أبو القاسم) ، الخيال الشعري عند العرب، ط هنداوي، طبعة الكترونية، القاهرة، مصر، بدون.
٢٦ _ صحراوي (عبد السلام)، بيان الحداثة من أدونيس إلى محمد بنيس، مجلة منتدى الأستاذ (٩١ . ١١٢)، العدد الثالث، أفريل ٢٠٠٧م.
٢٧ _ صغيري (حسيبة)، جدلية النص الأدبي والمنهج النقدي عند محمد بنيس، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥ . ٢٠١٦م.
٢٨ _ العقاد (عباس محمود) ، المازني (إبراهيم عبد القادر)، الديوان في الأدب والنقد، ط مؤسسة هنداوي، بدون.
٢٩ _ فرجاني (عبد القادر)، النص والمنهج بين إشكالية المصطلح وزئبقية المفهوم في فكر

محمد بنيس نموذجا، مجلة أمارات (٨٩ـ ٩٥)، المجلد ٢، العدد ١، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بوعلي بالشلف، الجزائر، مارس ٢٠١٨م.

٣٠ _ القرطاجني (حازم) ، منهاج البلغاء، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب بن الخوجة، ط الثالثة، الدار العربية للكتاب، تونس ٢٠٠٨م.

٣١ _ القط (عبد القادر) ، الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، د .ط، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٨م.

٣٢ _ بن لقريشي (عمار)، عباسي (الدراجي) ، النقد البنيوي التكويني عند محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب أنموذجا، مجلة بحوث كلية الآداب (١١٥ـ ١٢٥)، مج ٣١، ع ١٢٢، جامعة المنوفية، يوليو ٢٠٢٠م.

٣٣ _ المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القسم الأول، ط الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

٣٤ _ المساوي ٠عبد السلام) (عارض)، محمد بنيس (مؤلف)، الشعر الحديث: بنياته وإبدالاتها، عالم الفكر (٤٢٤ _ ٤٤٤)، مج ٢٢، ع ١، سبتمبر ١٩٩٣م.

٣٥ _ مندور (محمد) ، الشعر بعد شوقي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، بدون.

***

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص البحث باللغة العربية	٦٤٥
٢-	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٦٤٦
٣-	المقدمة_ وخطة البحث	٦٤٧
٤-	التمهيد: دراسة و تحليل الإطار العام للقراءة النقدية في فكر محمد بنيس.	٦٥٢
٥-	المحور الأول: حداثة القصيدة العربية وإعادة بناء المقولات النقدية من منظور التحليل النقدي في فكر محمد بنيس.	٦٥٦
٦-	المحور الثاني: دراسة أصول الصنعة في المصادر العربية القديمة على نحو ما رآها محمد بنيس.	٦٦١
٧-	المحور الثالث: دراسة شعرية الدلالة في المصادر العربية من منظور التحليل النقدي في فكر محمد بنيس.	٦٦٥
٨-	المحور الرابع: قضية انتقال النماذج الشعرية وعلاقتها بمفاهيم القدم والحداثة في التراث العربي النقدي، على نحو ما رآها بنيس.	٦٦٨
٩-	المحور الخامس: دراسة مفهوم التطور و علاقته بتجاوز النماذج الشعرية القديمة لتأسيس حداثة القصيدة العربية، وذلك من منظور التحليل النقدي في فكر محمد بنيس.	٦٧٦
١٠-	الخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات	٦٧٩
١١-	أهم المصادر والمراجع	٦٨٢
١٢-	فهرس الموضوعات	٦٨٥

***